

مذكرة في العقيدة

(الملائكة-القضاء والقدر-الأسماء والأحكام-الصحابة-خصائص منهج أهل السنة)

د.يوسف الشبيلي

(تم تفريغها من الدروس التي ألقيت في مسجد المؤسسة الإسلامية بأمريكا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فتتناول هذه المذكرة المحاور الآتية:

المحور الأول: الإيمان بالملائكة

ويشمل: صفات الملائكة الخَلقية والخُلُقية، عددهم، مهامهم، ذكرهم في القرآن، والفرق بينهم وبين البشر. ويشمل أيضاً: عالم الجن والشياطين وعقيدة أهل السنة و الجماعة فيه، والسحر الشعوذة والكهانة.

المحور الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر

ويشمل: أنواع القدر ومراتبه ورد شبهات المنحرفين فيه.

المحور الثالث: الأسماء والأحكام

ويتضمن: اسم كل مرتكب لكبيرة أو بدعة في الدنيا وحكمه في الآخرة،و أسماء الطوائف وأحكامها، والكبائر أنواعها ومراتبها.

المحور الرابع: الصحابة رضوان الله عليهم

- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة وفيما دار بينهم من خلاف.
- مذهب أهل السنة والجماعة في الخلافة.

المحور الخامس: خصائص منهج أهل السنة والجماعة

- خصائص منهج أهل السنة والجماعة في باب العقائد.
- ما يمتاز به منهج أهل السنة والجماعة عن سائر الطوائف والعقائد.
-

المحاضرة الأولى: الإيمان بالملائكة

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالملائكة وهو من الإيمان بالغيب الذي امتدح اللّه به عباده المؤمنين حيث قال:" .....هدىً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب....."[1] ، فمن صفات المتقين المؤمنين الإيمان بالغيب،ومنه عالم الملائ

والإيمان بالغيب يشمل عدة أمور منها:

- الإيمان باليوم الآخر
- الإيمان بالقضاء والقدر
- الإيمان بالجن والشياطين
- والإيمان بالملائكة وهذا محور الحديث.

والإيمان بالملائكة هو أحد أركان الإيمان الذي لا يقوم الإيمان إلا به.

فالركن في اللغة: هو جانب الشيئ الأقوى الذي لا يقوم الشيء إلا به.

والدليل على ذلك: حديث جبريل عندما أتى النبي صلى اللّه عليه وسلم على هيئة رجل من البادية، فسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان. فأجاب وقال عن الإيمان: "أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره".

وقد جاء ذكر الملائكة في القرآن والسنة وأجمعت الأمة على الإيمان بهم ووجودهم وأن اللّه تعالى كلفهم بمهام ووظائف مختلفة.

الأدلة من القرآن على وجودهم:

1) قال تعالى:" وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين"[2]. وتدل هذه الآية على أن خلق الملائكة سابقٌ لخلق البشر.
2) قوله تعالى:" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة"[3]
3) قوله تعالى:" تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر"[4]
4) قوله تعالى:" الحمد لله فاط السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء"[5] وتتحدث هذه الآية عن صفة خلق الملائكة.

الأدلة من السنة:

1) حديث جبريل في الإيمان والإسلام والإحسان.وهو في الصحيحين
2) عن عائشة قالت قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :" خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم".رواه مسلم
3) وأيضاً ما رواه أبو هريرة أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال:" ما من يوم

[1] البقرة / آية 2-3.
[2] البقرة /آية 33.
[3] البقرة /آية 92.
[4] القدر /آية 4.
[5] فاطر /آية 1.

يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا". متفق عليه

4) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" يتعاقبون فيكم ملا ئكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون " متفق عليه

صفات الملائكة

صفاتهم الخَلقية:

ذكر الله تعالى بعض صفاتهم الخلقية في القرآن وبعضها الآخر في السنة النبوية.

1) مادة خلقهم: خلقوا من نور، ونقول خُلقت الملائكة أو خُلقوا. والدليل على ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم:" خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من نار وخلق آدم مما وُصف له".

ولم يبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أي نور هذا الذي خلقوا منه ،ولهذا فإننا نقف عند الحد الذي ذكره عليه الصلاة والسلام.

2) عِظم خلقهم: قال تعالى- واصفاً جبريل - :" إنه لقول رسولٍ كريم ذو قوةٍ عند ذي العرش مكين مطاعٍ ثم أمين"[1] .

وقد جاء في السنة ما يدل على عظم خلق الملائكة وذلك فيما رواه أحمد بسند جيد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" رأيت جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى، له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط منها التهاويل من الدر واليواقيت".

والتهاويل:هي الأشياء المختلفة الألوان.

3) لا يُوصفون بالذكورة ولا الأنوثة: لا يصح أن نصفهم بذلك لأنه لم يوجد في القرآن ولا في السنة وصفهم بذلك ،وقد رد الله على مشركي العرب الذين قالوا الملا ئكة بنات الله.

4) أنهم لا يأكلون ولا يشربون: وقد جاء بيان ذلك في قصة إبراهيم حيث قال تعالى:" هل أتاك حديث ضيف إبراهيم......فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون"[2] .

5) أنهم لا يملون ولا يتعبون: ويدل على ذلك قول الله تعالى:"فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون"[3] .

وقوله تعالى:"يسبحون الليل والنهار لا يفترون"[4] .

---

[1] الحاقة /آية 04-24.
[2] الذاريات /آية 42-72.
[3] فصلت /آية 83.
[4] الأنبياء/ آية 12.

6) لهم أجنحة: قال تعالى:" الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء"[1]
فبعضهم له جناحان وبعضهم ثلاث ثلاثة أو أكثر من ذلك وهذا لا يدل على الحصر بل على التمثيل ،ولهذا قال سبحانه:يزيد في الخلق ما يشاء،وقد تقد الحديث الذي فيه أن لجبريل ستمائة جناح.
7) جمالهم: خلقتهم حسنة وجميلة وفي هذا يقول اللّٰه تعالى على لسان النسوة اللواتي كن في مجلس امراة العزيز في وصفهن ليوسف:" ...حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملكٌ كريم"[2]
وقوله تعالى عن جبريل:" ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى......"[3]
قال ابن عباس: ذو مرة : أي هيئة وخلقة حسنة.
8) تفاوتهم في الخلق والمقدار: فليسوا على صفة واحدة في الخلق، فمنهم له جناحان جناحان وبعضهم ثلاثة ثلاثة وبعضهم له أكثر من ذلك.
9) عددهم: عددهم كثير لايعلمه إلا خالقهم سبحانه،ومما يبين كثرتهم ما جاء في الحديث الصحيح في وصف النار يوم القيامة:" يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها".أخرجه مسلم
وجاء أيضاً في الصحيحين في وصفه صلى اللّٰه عليه وسلم للبيت المعمور:" فإذا هو يدخله سبعون ألف ملك كل يوم لا يعودون إليه آخر ما عليهم".
01) مساكنهم: الأصل أن مساكن الملائكة في السماء لكن بعضهم موكل ببعض الأعمال الأرضية والدليل على أن مساكنهم في السماء أن اللّٰه تعالى يصفهم بالنزول في آيات متعددة منها قوله سبحانه:" وما نتنزل إلا بأمر ربك"[4] فهم لاينزلون إلى الأرض إلا بأمر اللّٰه لتنفيذ مهام موكلة إليهم، وقوله سبحانه عن ليلة القدر"تنزل الملائكة و الروح فيها"[5]
- بعضهم موكل بالأعمال الأرضية، والدليل قوله صلى اللّٰه عليه وسلم:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار".
- الملائكة الموكلة بحفظ عمل بني آدم:" وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"[6].

<u>أسماء الملائكة في الكتاب والسنة</u>

---
[1] فاطر /آية 1.
[2] يوسف /آية 13.
[3] النجم /آية 6-8.
[4] مريم /آية 46.
[5] القدر 4.
[5] ق 81.

1) جبريل: وهو وأفضلهم، واسمه جبريل ويُقال جبرائيل وسماه الله تعالى بذلك في قوله :" قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك....." البقرة 79.
وسماه الله تعالى بالروح الأمين:" نزل به الروح الأمين" الشعراء 391.
وسماه الله تعالى "الروح" وهذا في قوله تعالى:"فأرسلنا إليها روحنا"أي مريم وفي قوله سبحانه "تنزل الملائكة والروح".
_ لماذا ذكر الله تعالى الملائكة وأعقبهم بذكر جبريل وحده؟
للدلالة على الاهتمام والتشريف فهذا من"عطف الخاص على العام"، والقرآن يسمى بـ الروح وجبريل يسمى بالروح كذلك لأن القرآن فيه الحياة الحقيقية، وجبريل ينزل بـ القرآن الذي فيه الحياة الحقيقية.

2) ميكائيل: ويقال أيضا ميكال وهو موكل بإنزال المطر، وجاءت تسميته في القرآن في قوله تعالى:"من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌ للكافرين" البقرة 89 وقد خصهما الله من بين سائر الملائكة وذكرهما للتشريف والتكريم.
وروى الطبراني عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في جملة من حديث طويل:"قلت :يا جبريل على أي شيء أنت ؟_ أي على أي شيء ولاك الله في جملة ما أمرك به_ فقال:على الرياح والجنود,قلت:على أي شيء ميكائيل؟فقال :على النبات والقطر"قال في الدر المنثور:إسناده حسن

3) إسرافيل: الموكل بنفخ الصور وقد جاءت تسميته في السنة.
ففي الصحيح أنه كان صلى الله عليه وسلم يستفتح قيامه بالليل بقوله:" اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم".
وقد ذكر أهل العلم مناسبة استفتاح المصلي قيامه بالليل بهذا الذكر،وذلك أن العبد إذا نام فقد مات موتة صغري فإذا استيقظ فقدأحياه الله والنوم سماه الله موتا كما قال تعالى:" الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى....."[1]، وذلك أن اتصال الروح بالجسد في النوم يختلف عن اتصالها بالجسد في اليقظة، فإذا نام الإنسان تفارق روحه جسده، و تذهب روح المؤمن لتسجد تحت عرش الرحمن. فبعد اليقظة من النوم كأن الإنسان بدأ بحياة جديدة فناسب أن يذكر في دعائه هؤلاء الملائكة الموكلين بما فيه حياة الإ نسان فجبرائيل موكل بما فيه حياة القلوب وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور وفيه حياة الأبدان يوم القيامة وميكائيل موكل بالمطر الذي به قوام حياة البشر في الدنيا.

4) مالك: خازن النار وقد جاءت تسميته في القرآن

[1] الزمر 24.

وذلك في قوله تعالى:" ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون"[1] .
5و6) رقيب وعتيد: بعض العلماء قال إنهما ملكان والصحيح أنهما ليسا اسمين،بل هما وصفان للملكين الموكلين بحفظ أعمال بني آدم فرقيب معناه أنهما يراقبان الإ نسان وعتيد أي أعدا العدة وهيئا أنفسهما لكتابة كل ما يفعله أو يقوله الإنسان. قال تعالى:"وما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد"[2].
7و8) هاروت وماروت: جاءت تسميتهما في القرآن أيضاً، قال تعالى:" ....وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت..."[3]، ذكر المفسرون أن قوله هاروت وماروت أي بدل ما أُنزل على الملكين، وهذا لا يقتضي ولا يلزم أنهما كانا كافرين أو كانا يدعيان إلى السحر، فهم بأمر الله نزلوا وعلموا الناس السحر، قال تعالى على لسانهم:" وما يُعلمان من أحد حتى يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر..."[4]، ولكن أنزلهم الله فتنة للناس بإذنه.
9و01) منكر ونكير: وقد جاء ذكرهما في السنة.
قال صلى الله عليه وسلم:" إذا وُضع العبد في قبره، أتاه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير، فيقعدانه فيقولان من ربك، من نبيك، ما دينك...."[5] وهذا حديث صحيح.
11) عزرائيل: يقول بعض الناس أنه الملك الموكل بقبض الأرواح، ولكن لم يثبت هذا لا في القرآن ولا في السنة الصحيحة . والثابت أن الذي يباشر قبض الأرواح ملك واحد ،وله أعوان من الملائكة،كما قال تعالى:"قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم" وقال تعالى:" ....ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون"[6] .
- ما ثبت تسميته من الملائكة في القرآن والسنة هم: جبريل ، ميكائيل ، إسرافيل ، م الك ، منكر ونكير ، وهاروت وماروت.
- وما لم يثبت: عزرائيل ورقيب وعتيد.
صفاتهم الخُلقية ووظائفهم:
أولا ً: أنهم كرام بررة، قال تعالى:" بأيدي سفرة كرام بررة "[7]، سفرة أي أنهم سفراء الله إلى البشر، ومنهم من هو موكل بإبلاغ الوحي (جبريل عليه السلام)، كرام أي في صفاتهم وأخلاقهم، بررة جمع بر: البر هو حسن الخلق والبار من حسن خلقه وحسنت صفاته.
ثانياً: أنهم عبادٌ يستحون، يدل على ذلك ما رواه مسلم أن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم

---
[1] الزخرف 77.
[2] ق 81.
[3] البقرة 201.
[4] البقرة 201.
[5] سنن أبي داود وابن ماجه
[6] الأنعام 16.
[7] عبس 51_61.

استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال ألا أستحي من رجل تستحي منه .

- فالحياء مطلوب لأنه من الإيمان.

ثالثاً: صفة عبادتهم: كيف يعبدون الله؟

1) ذكر الله تعالى أنهم لا يعصون له أمرا، فقال عنهم:" لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"[1]، وذكر الله عبادات متعددة لربهم مثل:

أ- الخوف: فهم يخافون الله، قال تعالى:" يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون"[2]

ب- الخشية: يخشون الله، قال تعالى:"....ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون"[3].

- والفرق بين الخوف والخشية، أنالخشية مصحوبة بالعلم أما الخوف لا يُصاحب بعلم فأحياناً يكون الخوف من شيء مجهول.

2) التسبيح ليلا ً ونهارا: قال تعالى:" يسبحون الليل والنهار لا يفترون"[4].

3) الصلاة فهم يصلون: قال تعالى:" وإنا لنحن الصّافون وإنا لنحن المسبحون"[5]، الصافون أي المصلون. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، قالوا يا رسول الله كيف تصف الملائكة عند ربها قال يتمون الصف الأول فالأول ويتراصون في الصف"، وقال أيضاً :" جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة" وهذا يدل على أنهم يُصلون.

4) الحج: حجهم إلى البيت المعمور، فيدخلون ويطوفون فيه ولا يعودون مرة أخرى.

<u>وظائف الملائكة</u>

جبريل- تبليغ الوحي.

إسرافيل- النفخ في الصور.

ميكائيل- الغيث.

منكر ونكير- فتنة القبر.

مالك- بخزانة النار.

أعمال الملائكة الأخرى:

1) حراسة بني آدم: وهؤلاء الملائكة يُسمون الحفظة يتولون بني آدم ويحفظونه بأمر الله، ومما يدل على هذا قوله تعالى:" وهو القاهر فوق عباده ويرسل

---

[1] التحريم 6.
[2] النحل 05.
[3] الأنبياء 82.
[4] الأنبياء 02.
[5] الصافات 561-661.

عليكم حفظة"[1]،وقوله تعالى:"له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله"

2) تحريك بواعث الخير في نفس المؤمن، فالملك يُقرب المؤمن من ربه وإلى الصراط المستقيم، فعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية . أخرجه الترمذي وإسناده صحيح

وعن جابلا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إذا أوى الإنسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك :اختم بخير ، ويقول الشيطان :اختم بشر ،فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه النوم طرد الملك الشيطان وبات يكلؤه فإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك:افتح بخير ويقول الشيطان:افتح بشر ،فإن قال :الحمد لله الذي أحيا نفسي بعدما أماتها ولم يمتها في منامها ،الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى الحمد لله الذي يمسك السموت والأرض أن تزو لا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده الحمد لله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه،طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه".أخرجه ابن حبان بإسناد صحيح

3) بعث الرحمة والطمأنينة والسكينة في قلوب المؤمنين ونفوسهم: وتسمى هذه الملائكة ملائكة الرحمة، مثال على ذلك ما جرى في غزوة بدر، قال تعالى:" إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا..."[2]

4) إنزال العذاب بالكافرين: ومن ذلك ما حصل لقوم لوط إذ أمر الله الملائكة أن يرفعوا أرضهم وقراهم وأن يجعلوا عاليها سافلها. قال تعالى:"....قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط"[3]

5) كتابة أعمال بني آدم: وكل الله تعالى لكل إنسان ذكر أو أنثى ملكين ، ملك عن اليمين يكتب الحسنات وملك عن الشمال يكتب السيئات. قال تعالى:" وما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد"[4].

فهؤلاء الملائكة لا يتركون شيئاً من عمل بني آدم إلا ويكتبونه، قال تعالى:" إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون"[5].

---

[1] الأنعام 16.
[2] الأنفال 21.
[3] هود 07.
[4] الزمر 24.
[5] الجاثية 92.

- هل هذه الملائكة تكتب كل شيء من خير وشر والأمور المباحة؟
الأظهر والله أعلم أنها تكتب كل شيء من خير أو شر أو من الأمور المباحة لكن الأشياء التي لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب لا تبقى في الصحف بل تمحى منها بعد ذلك.

- هل تكتب أعمال القلوب؟

أعمال القلوب لا تكتب إلا ما همّ به الإنسان، وأما مجرد الخاطرة فهي لا تكتب لأنها معفوٌ عنها والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:" إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل".
وعندما نزلت الآية:" إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله"[1] شق ذلك على الصحابة وجاءوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا: ها نحن أُمرنا بما لا نطيق، فقال صلى الله عليه وسلم، أتريدون أن تقولوا كما قال اليهود لموسى: سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا، فقالوا سمعنا وأطعنا، فأنزل الله هذه الآية التالية:" ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به" تخفيفاًعلى عباده وبينت أن مجرد الخاطرة معفو عنها وأن العبد لا يحاسب إلا على الأشياء التي يهم بها العبد ويعزم عليها، والدليل على أن العبد مجازى على ما يهم به، ما رواه الترمذي بسند صحيح عن أبي كبشة الأنماري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ،وإنما أثم الرجل الرابع لأنه هم بالمعصية ولم يمنعه من الوقوع فيها سوى عجزه عنها ،فأما إن هم العبد بالمعصية ثم عدل عنها خوفاً من الله فهذا تكتب له حسنة كاملة لما روى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل:" قال إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هو هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن عملها كتبت له سيئة واحدة".متفق عليه
مسألة : ثبت في الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصقن أمامه فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها" متفق عليه.
استشكل أهل العلم هذا الحديث لوجود ملكين أحدهما عن يمين الانسان والآخر عن

يساره، وقد علل النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن البصاق جهة اليمين لوجود الملك.

وقد ذكر ابن حجر عدة أجوبة عن هذا الاستشكال،فمن ذلك:

1) اختصاص ذلك بملك اليمين تشريفا له وتكريما،ثم قال ابن حجر عن هذا الجواب:" ولا يخفى ما فيه"، والجواب بعيد لأن الملك الذي على الشمال مكرم كذلك.
2) الصلاة هي أهم الحسنات البدنية فلا دخل لكاتب السيئات فيه ويشهد لهذا ما رواه ابن أبي شيبة من حديث حذيفة مرفوعا:"ولا عن يمينه فإن عن يمينه كاتب الحسنات" وهذه الرواية ضعيفة.
5) المراد بقوله عن يمينه ملكا القرين الذي يدعو الإنسان إلى الخير، وهذا غير الحافظ الذي يكتب الحسنات، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:" فإنه يقوم بين يدي الله وملكه عن يمينه وقرينه عن يساره"[1]

فقوله عن يمينه ملكا، المراد به القرين وليس كاتب الحسنات. فالتفل عن اليسار يقع على قرين السوء وهو الشيطان.

8) أن ملك الشمال يتحول في الصلاة إلى جهة اليمين ويكتب السيئات وهو في جهة اليمين، لأن قوله ملك اسم جنس تقع على المفرد والمثنى.

- والأظهر والله أعلم هو الجواب الثالث.

والتفل من جهة القبلة محرمٌ كذلك، لأن الله تعالى يكون بين يدي المصلي. لقوله صلى الله عليه وسلم:" من تفل جهة القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه"[2].

فائدة:

صاحب الشمال لا يكتب السيئة مباشرة وإنما ينتظر ست ساعات بخلاف صاحب الحسنات الذي يكتب مباشرة.

والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:" إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلا كتبت واحدة".

6) صلاتهم على عباد الله المؤمنين، وهذه الوظيفة ثابتة لهم في القرآن والسنة، قال تعالى:"هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور"[3].

- ما معنى صلاة الملائكة على عباد الله؟

أي دعائهم لهم، فهم يدعون الله أن يغفر للمؤمنين ويرحمهم ويتجاوز عن سيئاتهم.

فالصلاة في اللغة بمعنى الدعاء، والدليل قوله تعالى:" قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين"[4]. أي دعائي خالص لله ،والدعاء هنا بالمفهوم الواسع الشامل

---

[1] رواه الطبراني من حديث أبي أمامة.
[2] رواه ابن خزيمة وابن حبان من حديث حذيفة.
[3] الأحزاب 34.
[4] الأنعام 261.

لكل العبادات.
ومن استعمال الصلاة بمعنى الدعاء قول الله تعالى:"خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكنٌ لهم"، أي ادع لهم.
ولذلك لما جاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بصدقاتهم ومنهم عبد الله بن أوفى، قال صلى الله عليه وسلم:" اللهم ارحم آل أبي أوفى"
كذلك قوله صلى الله عليه وسلم:"إذا دُعي أحدكم إلى طعام فإن كان مفطرا فليطعم وإن كان صائما فليصل" أي يدعو لصاحب الأكل.

أصناف الناس الذين تصلي عليهم الملائكة

1) **معلم الناس الخير**: والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:"إن الله وملائكته حتى النملة في حجرها والحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير"[1].
2) **الذي يقصد المسجد**: والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:" إن الملائكة تُصلي على الذي يأتي في المسجد للصلاة وتقول اللهم اغفر له اللهم صلي عليه اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه"[2]
أي ما لم يتسبب لأحد بأذى وما لم يحدث فيه تكون من وجهين: حدث معنوي أي حدث في الدين مثل الإبتداع، وحدثٌ حسي أي يخرج ناقضا من نواقض الوضوء.
3) **المبادر للصف الأول**: والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:" إن الله وملائكته يُصلون على الصف الأول"[3].
وقال صلى الله عليه وسلم:" لو يعلم الناس ما في النداء (الأذان) والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا".
- هل يجوز الإيثار هنا؟ أي أن يتنحى الإنسان عن مكانه في الصف الأول لشخص آخر.
نقول إذا كان فيه مصلحة شرعية لتأليف قلب أحد أو احتراماً له، فهذا الإيثار مشروع ومستحب، أما إذا كان لا يترتب عليه مصلحة شرعية، فهو مكروه. وأما في الفرائض فلا يجوز أن يؤثر غيره فيه مثل الإيثار في طلب العلم الشرعي الواجب أو الوضوء أو ما شابه ذلك.
4) **الماكث في المصلى بعد الصلاة**: والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:" تُصلي الملا ئكة على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يُحدث فيه أو يقم منه"، وفي رواية أخرى:"إن أحدكم في صلاة ما دام في مصلا ّه الذي صلى فيه وإن الملائكة تُصلي عليه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه". وهذا يدل على أن العبد يكون في صلاة والملائكة تُصلي عليه من حين خروجه من بيته إلى ما بعد الصلاة ما دام جالساً في مصلا ّه.

[1] رواه الترمذي من حديث أبي أمامة.
[2] صحيح مسلم.
[3] رواه أبو داوود من حديث البراء.

5)**الذي يسد الفرج بين الصفوف**: قال صلى الله عليه وسلم:" إن الله وملائكته يُصلون على الذين يصلون الصفوف"[1]
6) **الذي يعود مريضاً** : جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:"ما من عبد مسلم يعود مريضا في الصباح إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وما من عبد مسلم يعود مريضا في المساء إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُصبح"[2]
7) **المتسحرون** : عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله وملائكته يُصلون على المتسحرين"[3].
8) **الذي يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم**: فقد جاء عنه أنه قال:" ما من عبد يُصلي علي إلا صلت عليه الملائكة ما صلى علي حتى يسكت"[4]
- **ما أثر صلاة الملائكة على العباد؟**
جعل الله من صلاتهم الخير والأجر الجزيل للعبد المؤمن، ومن ذلك أنها تخرجهم من الظلمات إلى النور، والدليل قوله تعالى:" هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما"[5]. فبهذه الصلاة يخرج بها العبد بإذن الله من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإيمان والمعرفة.
9) **استغفارهم لعباد الله المؤمنين**: والدليل قوله تعالى:" تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض....."[6]
01) **أنها تضع أجنحتها لطالب العلم**: فقد جاء في حديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع"[7]
- **واختلف أهل العلم في حقيقة وضع الملائكة أجنحتها وما الحكمة منه:**
فقيل:تضعها تواضعاً وتوقيراً له، وهذا من باب قوله تعالى:" ......واخفض جناحك للمؤمنين"[8]
وقيل: إن وضع أجنحتها من باب التكريم والتعظيم والتحبب لطالب العلم.
وقيل: المراد الكف عن الطيران لطالب العلم.
وقيل: أنها تظله بأجنحتها تكريماً له.
والأقرب القول الأول والثاني والبقية لا دليل لها.
11) أنها تنزل بالسكينة على قارئ القرآن: والدليل قوله صلى الله عليه وسلم في قصة أسيد ابن حظير حيث كان في ليلة من الليالي يقرأ سورة الكهف، وبالقرب منه فرس وبجانبه ابنه، فكان يقرأ فجالت الفرس فسكت ثم قرأ فجالت فسكت حتى

[1] رواه الإمام أحمد.
[2] رواه ابن حبان.
[3] رواه الإمام أحمد.
[4] رواه الإمام أحمد.
[5] الأحزاب 34.
[6] الشورى 5.
[7] رواه الترمذي.
[8] الحجر 88.

اقتربت من ابنه، فقام وأخذ ابنه بعيدا عنها ثم نظر إلى السماء فرأى ظلة. فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر، فقال:" تلك السكينة تنزلت لقرائتك القرآن و في رواية تلك الملائكة نزلت تستمع لقرائتك، ولو مضيت لأصبحت الناس تراها في الطرقات".

21) تسجيل الذين يحضرون الجمعة: قال صلى الله عليه وسلم:"إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول.....فإذا دخل الإمام طوت الصحف وجلست تسمع الذكر"[1]

31) تبشيرهم لعباد الله المؤمنين: كما بشروا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بغلام حليم (اسماعيل) وغلام عليم (إسحاق)، وكما بشروا زكريا بيحيى، ومريم بشروها بعيسى عليه الصلاة والسلام.

- قال صلى الله عليه وسلم:" زار رجل خا له في الله في قرية فبعث الله في مدرجه ملكا، فسأله: أين تريد فقال أخا لي، قال فهل له من نعمة تربُها عليه، قال لا غير إني أحبه في الله فقال له: إني رسول الله إليك أبشرك أن الله يبك بما أحببته لحبك إياه"[2]

-ومن ذلك تبشير خديجة رضي الله عنها بالجنة فقد قال صلى الله عليه وسلم:" أتاني جبريل فقال يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام (طعام) فأقرأها السلا م من الله ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب"، أما عائشة فجاءها السلام من جبريل فقط.

41) **شهودهم جنازة الصالحين**: قال صلى الله عليه وسلم في جنازة سعد بن معاذ:" وشهده سبعون ألفاً من الملائكة"[3] وهو الذي اهتز عرش الرحمن لموته.

51) **حمايتهم لمكة والمدينة من الدجال**: قال صلى الله عليه وسلم:" على أنقاب (مداخل) المدينة ملائكة وليس من بلد إلا سيناله الدجال إلا مكة والمدينة"، ليس لهم نقب من أنقابها إلا وفيه ملك يمنعه.

61) **الملائكة تبسط أجنحتها على الشام**: لأن الملحمة التي ستكون بين اليهود و المسلمين ستكون في الشام، قال صلى الله عليه وسلم:" يا طوبى للشام يا طوبى للشام، إن ملائكة الله باسطة أجنحتها عليها"[4]

<u>وظائف الملائكة تجاه الكفار</u>

1) إنزال العذاب بالكافرين كما أنزل على قوم لوط وقوم صالح.

2) **لعن الكفار**، قال تعالى:"كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لايهدي القوم الظالمين أولئك جزائهم أن عليهم لعنه الله و الملائكة والناس أجمعين"[5]

---

[1] صحيح البخاري في ما رواه أبو هريرة.
[2] رواه مسلم عن أبي هريرة.
[3] رواه النسائي من حديث ابن عمر.
[4] رواه الترمذي من حديث زيد ابن ثابت.
[5] آل عمران 68_78.

- واللعن أي الطرد والبعد عن رحمة الله، فتدعو الملائكة على الكفار وأيضا تلعن أصنافاً من البشر ليسوا بالضرورة كفارا، ومن هؤلاء:

1) **من سب الصحابة**، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:" من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[1]
2) **إشارة المسلم إلى أخيه بالسلاح**، قال صلى الله عليه وسلم:" من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه"[2]، وهذا الحديث شامل حتى ولو كانت الإشارة على سبيل المزاح.

ج) **من آوى محدثاً** والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:" من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" وهذا يشمل الإحداث في الدين والإ حداث بانتهاك حرمات الله.

د) الذي يحول دون تنفيذ شرع الله، قال صلى الله عليه وسلم:" من حال دون حد من حدود الله فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" وقال أيضاً:" إذا وقعت الحدود فلعنة الله على الشافع والمشفع"، أي أنه لا يجوز الشفاعة في حد من حدود الله.

هه) امتناع المرأة عن زوجها، قال صلى الله عليه وسلم:" إذا دعى الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فنام وهو غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح".

<u>وظائف للملائكة تشمل المؤمن والكافر</u>

1) السؤال في القبر، قال صلى الله عليه وسلم:" ما من عبد يُوضع في القبر إلا سأله ملكان عن ربه ودينه ونبيه" وهذا شامل للكفار والمؤمنين والمنافقين. وهذه تُسمى فتنة القبر التي يُشرع للعبد أن يستعيذ منها في صلاته. وهناك أناس يأمنون فتنة القبر منهم الشهداء.
2) إنزال المطر وهي إحدى مهام ميكائيل عليه السلام، ونزول المطر رحمة من الله تشمل المؤمن والكافر.

<u>مسائل متعلقة بالإيمان بالملائكة</u>

مسألة (1): هل الملائكة تموت؟

نعم تموت، والدليل قوله تعالى:"....كل شيء هالك إلا وجهه...."[3].

مسألة (2): هل كل من جاءه ملك من البشر يُعد نبيا أو رسولا؟

كلا فقد تأتي الملائكة لبشر وليسوا أنبياء ولا رسل. مثال ذلك مريم وعمران بن حصين والثلاثة نفر من بني إسرائيل الأبرص والأقرع والأعمى الذين أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا وقصتهم رواها أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث

---

[1] رواه الطبراني عن ابن عباس بإسناد صحيح.
[2] رواه مسلم عن أبي هريرة.
[3] القصص 88.

إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال أي شيء أحب إليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا قال فأي المال أحب إليك قال الإبل أو قال البقر شك إسحق إلا أن الأبرص أو ا لأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر قال فأعطي ناقة عشراء فقال بارك الله لك فيها قال فأتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرا حسنا قال فأي المال أحب إليك قال البقر فأعطي بقرة حاملا فقال بارك الله لك فيها قال فأتى الأعمى فقال أي شيء أحب إليك قال أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس قال فمسحه فرد الله إليه بصره قال فأي المال أحب إليك قال الغنم فأعطي شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا قال فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم قال ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه في سفري فقال الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله فقال إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك . أخرجه مسلم

مسألة (3): كيفية مجيء الوحي، كيف ينزل جبريل بالوحي؟

جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: كيف يأتيك الوحي، فقال:

1) قال: أحيانا يأتيني كصلصة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه.(والشدة التي يلقاها النبي لثقل القرآن قال تعالى في ذلك:" إنا سنلقي عليك قولا ً ثقيلا"[1])

2) وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول.

مسألة (4): هل يمكن للبشر رؤية الملائكة؟

أما رؤيتهم على هيئتهم التي خلقهم الله عليها فهي غير ممكنة للبشر ولم يرهم أحد إ لا نبينامحمد صلى الله عليه وسلم، كما رآه في أول الوحي وفي الإسراء والمعراج، قال تعالى:" ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى"[2]

[1] المزمل 5.
[2] النجم 41.

أما رؤيتهم إذا اتمثلواا بصورة البشر فممكنة، مثل ذلك: الملائكة الذين أتوا لإبراهيم على هيئة شبان. قال تعالى:" هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه قالوا سلاما قال سلام قوم منكرون...."[1]

وقصة إبراهيم مع هؤلاء الملائكة يستنبط منهاآدابٌ شرعية في الضيافة،فمن ذلك:

1) قوله "سلام"، قال أهل العلم هذا أول تكريم لهم إذ هم قالوا سلاما أي نعطيكم السلام (جملة فعلية) وهو أجاب فقال سلام أي السلام عليكم (جملة إسمية) والجملة الإسمية أقوى وأدل على الثبوت والاستقرار من الجملة الفعلية.
2) أنه قال : قوم منكرون ولم يقل أنتم قوم منكرون أي لم ينسبه إليهم.
3) ومن باب التأدب لم يقل أني أنكركم.
4) أنه راغ إلى أهله أي تسلل بخفية.
5) هيأ الطعام من عند أهله ولم يشتره من أحد.
6) فجاء أي جاء به بنفسه.
7) أنه جاء بعجلٍ كامل.
8) سمين،أي ليس بأي عجل.
9) أنه قربه إليهم حتى لا يخجلوا، وهذا أدبٌ منسي فتكريم الضيف يكون بتقريب الطعام إليه.

01) أنه قال ألا تأكلون، فعرض الطعام على الضيف.

ومن الناس الذين رأوا الملائكة على هيئة البشر لوط عليه السلام، ومريم عندما جاءها جبريل، والصحابة رأوا جبريل أيضا عندما جاء على هيئة رجل من البادية ليعلمهم أمور دينهم.

ومن الثابت في القرآن والسنة أن الأشياء غير المشاهدة قد تتمثل على هيئة أجسام محسوسة ،وهذا ليس مقصوراً على الملائكة ،

1-القرآن: فقد ثبت أنه يتمثل على هيئة جسم مشاهد يوم القيامة ، والدليل قوله صلى اللّه عليه وسلم:"اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهماغمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف فتحاجان عن صاحبهما" وقوله صلى اللّه عليه وسلم:" اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه".

ونقول: إن هذا لا نقدر أن نتصوره بعقولنا القاصرة ولكن نؤمن به لأنه من الإيمان بالغيب الذي امتدحنا اللّه به ونسلم به ونقول كلٌ من عند ربنا آمنا وسمعنا وأطعنا.

2-الرحم: قال صلى اللّه عليه وسلم:"إن اللّه خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال اللّه تعالى أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فهو لك، ثم قال صلى اللّه عليه وسلم اقرؤوا

[1] الذاريات

إن شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم"[1]
3-الأعمال: فإنها توزن يوم القيامة حقيقة، قال صلى الله عليه وسلم:"كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان ".
4-الصلاة: أيضا تدافع عن صاحبها يوم القيامة ، تقول: لا مدخل للعذاب من جهتي (أي أن الإنسان حصن نفسه من جهة الصلاة) وكذلك الصيام والزكاة.
5-الموت: كما ثبت في الحديث الصحيح، :" إذا دخل أهل الجنة الجنة ودخل أهل النار النار يُؤتى بالموت على هيئة كبش ويُقال لأهل الجنة هل تعرفون هذا فيقولون نعم وقال لأهل النار هل تعرفون هذا فيقولون نعم وكلهم مشرئبٌ إليه ثم يُذبح ويُقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أ هل النار خلود فلا موت".
6-الأموال: قال صلى الله عليه وسلم:" ما من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا إذا كان يوم القيامة مُثل له شجاعاً أقرع على رأسه زبيبتان فيأخذه فيقول أنا مالك أنا كنزك...."[2]
مسألة (5): المفاضلة بين الملائكة والبشر ؟
أ) تحرير محل النزاع
1-المقصود بالمفاضلة هنا بين الملائكة وصالحي البشر، فالكفار والمنافقون غير داخلين في هذه المفاضلة بالإجماع، لقوله تعالى عن الكفار:"أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً".
2- لا يقصد بالمفاضلة هنا التفضيل بين حقيقة البشر وحقيقة الملائكة أي جنسهم وجوهرهم وإنما المراد المؤمن نفسه وليس جنسه والملك.
اختلف أهل العلم :أيهما أفضل الملائكة أم صالحو البشر؟
ولهم في ذلك قولان :
القول الأول: أن صالحي البشر أفضل من الملائكة وهذا قول جمهور أهل العلم، وأدلتهم:
1-أن الله أمر الملائكة بالسجود لأدم،وهذا دليل فضله عليهم.
وأُجيب عن هذا أنه لم يُقصد السجود لآدم وإنما جُعل آدم قبلة والسجود لله.
ولكن هذا الرد ضعيف لأن الله قال اسجدوا لآدم ولم يقل اسجدوا إلى آدم.
2- قول الله تعالى على لسان إبليس:" أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا"
ووجه الدلالة من هذه الآيه أنهم قالوا إن إبليس كان من الملائكة، وهذا دليل على تفضيله وإذا كان آدم أفضل من إبليس فهو أفضل من الملائكة.
ونرد على هذا الاستدلال:بعدم التسليم بأن إبليس من الملائكة.
3- قالوا أن الله تعالى خلق آدم بيده والملائكة خلقهم بكلمته، وهذا دليل على تكريم

[1] ثابت في الصحيحين.
[2] رواه مسلم

آدم.
4- قوله تعالى مخاطباً الملائكة:" إني جاعلٌ في الأرض خليفة" ،والخلافة مرتبة مقصودة ومطلوبة وقد آثر الله تعالى بها بني آدم، و العهد بالخلافة إلى بني آدم دليل على تكريمهم.
5- طاعة البشر أشق من طاعة الملائكة، فالملائكة من جبلتها وخلقتها أنها لا تعصي الله، قال تعالى عنهم:"لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون". أما البشر فهم عرضة للفتن والشهوات فمن أطاع الله منهم فطاعته أشق من طاعة الملائكة التي خُلقت مجبولة على طاعة الله، ومن كانت طاعته أشق فهو أفضل كما قال صلى الله عليه وسلم لعائشة:"أجرك على قدر مشقتك". وهذا دليل قوي.
6- أن الله تعالى جعل جزاء المؤمنين الجنة، فهي لعباد الله المؤمنين وليست للملائكة، بل إن الملائكة هم خدم المؤمنين في الجنة.
7- مباهاة الله بعباده المؤمنين عند الملائكة إذا فعلوا طاعة من الطاعات، مثل مباهاته بعباده يوم عرفة، قال صلى الله عليه وسلم:" إن الله تعالى يباهي بعباده يوم عرفة الملائكة فيقول هؤلاء عبادي قد أتوني شعثاً غبراً (أثر التعب بادٍ عليهم) ضاحين (ليس على رؤوسهم شيء) من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم ".
وكذلك يباهي الله تعالى بعباده المؤمنين إذا أدوا فريضة من الفرائض كالصلوات فقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أن العبد إذا صلى الفريضة قال الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أُخرى".
القول الثاني: الملائكة أفضل من صالحي البشر ،وهذا القول قال به بعض المعتزلة والأشاعرة ونُسب إلى بعض أهل السنة.
وأدلتهم:
1- قالوا إن بني آدم يقع منهم الزلل والخطأ والمعصية بينما الملائكة لا يقع منهم ذلك لأنهم معصومون من الخطأ.
لكن يُجاب عن هذا الدليل: بأن العبد المؤمن إذا عصى الله تعالى ثم تاب فغفر الله له، يكون حاله بعد التوبه أفضل من حاله قبل ارتكاب الذنب . يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون ثم يتوبون فيغفر الله لهم"
2- قول الله تعالى على لسان نبيه:"ولا أقول لكم إني ملك" فهذا دليل على أن حال الملك أفضل من حال النبي.
الرد على هذا الدليل: أن المقصود بهذه الآية أن النبي يقول أني لست معصوماً من الخطأ وأني لا آكل ولا أشرب فأنا كسائر البشر أكل وأشرب وأقع في الذلل ويعتريني النسيان ولست ملكا معصوما من هذه الأمور، ولا يُقصد من هذه الآية التفضيل.
3- قوله صلى الله عليه وسلم: قال تعالى في الحديث القدسي:"من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" وجه الدلالة

من هذا الحديث أن الملائكة ملأ خير وأفضل من الملأ الذين ذكر الله تعالى عندهم.

4- والرد:أن الملأ الذين عند الله إنما كانوا أفضل لأن الله معهم.

وهناك قول ثالث يجمع بين القولين ،اختاره ابن تيمية،وهو أن يقال:
إن البشر أفضل باعتبار كمال النهاية في الآخرة لدخولهم الجنة و لأنهم يتنعمون ويتلذذون بالقرب من الله تعالى ورؤيته والنعيم المقيم في الجنة والملائكة تخدمهم، فهم بتلك الحال أفضل من الملائكة. بينما الملائكة أفضل من البشر باعتبار البداية أي في الدنيا لأن الملائكة في الملأ الأعلى قريبين من الله تعالى ولا يعصون الله ولا يقع منهم الزلل ولا الخطأ.
والراجح والله أعلم هو القول الأول

مسألة (6): المفاضلة بين الملائكة أنفسهم :
الملائكة يتفاضلون كما يتفاضل البشر. وأفضل الملائكة هو جبريل وقد سماه الله بأسماء متعددة مثل: الأمين وروح القدس. وقد أثنى الله تعالى على عبده جبريل فقال:" إنه لقول رسول كريم ذي قوة"[1] المراد هنا جبريل، نسبه الله إليه القول لأنه هو المبلغ.
ووصفه الله تعالى بأنه أمين وذو قوة ومطاع وكلفه أيضاً بتبليغ الوحي وهي أعظم المهمات وأيضاً كلفه بمهام أخرى منها:
- أنه يؤيد عباد الله المؤمنين كما قال تعالى:" وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين"[2]
– كذلك فإن الله تعالى يحبب جبريل بأحبابه من المؤمنين ويبلغ حبه لأهل السماء فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض .متفق عليه
ومن الملائكة المفضلين أيضا: ميكائيل واسرافيل ،وهؤلاء الثلاثة هم الرفيق الأعلى الذين هم أفضل الملائكة ويدل على ذلك ما جاء في الصحيح عن عائشة قالت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لم يُقبض نبيٌ قط حتى يرُى مقعده من الجنة ثم يُخير فلما نزل به ورأيته على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى السماء ثم قال اللهم الرفيق الأعلى" وإنماقال النبي ذلك لأن كل نبي يستأذن إن كان يريد

---

[1] النجم
[2] التحريم

الحياة أو الموت ولما قال الرسول صلى الله عليه وسلم:بل الرفيق الأعلى عرفت عائشة أنه سيموت وأنه اختار الرفيق الأعلى، وهذه الرواية في البخاري ومسلم و في رواية النسائي وابن حبان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" اللهم مع الرفيق الأعلى ،مع جبرائيل وميكائيل واسرافيل".

أعمال تمتنع عن مباشرتها الملائكة:

الابتعاد عن بعض الناس ممن يتحلون ببعض الصفات، فمن ذلك:

1) أن الملائكة لا تقرب رفقة فيها كلب أو جرس أو جلد سبع.

أما الكلب فقد سبق ذكر الدليل عليه :"لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أوصورة" وقد جاء في حديث آخر في السنن:" أن الملائكة لا تصحب رفقة فيها كلب أو جلد سبع"، و المراد بالكلب هنا الذي يُحظر اقتناؤه، لأن من الكلاب ما يجوز اقتناؤها ومنهاما يحرم اقتناؤها.

- والتي يجوز اقتناؤها: الكلاب المعدة للصيد وحراسة البيوت والزرع والماشية وما شابه، فهذه الكلاب يجوز اقتناؤها بدون شراء إلا إذا لم يتمكن إلا بالشراء فله أن يشتري.

- وأما ما عدا ذلك من الكلاب فلا يجوز اقتناؤها مطلقا والدليل ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً:"من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو حرث أو ماشية نقص من أجره كل يوم قيراط أو قيراطان".

2) لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس (الجرس الموسيقي) والدليل، ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس"[1]

3) لا تصحب الملائكة من معهم جلد سبع والدليل ما جاء في حديث المقداد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لا تصحب الملائكة رفقة فيها أو معها جلد سبع وفي رواية جلد نمر"[2]

- لماذا نهي عن لبس هذه الجلود؟

ذكر أهل العلم حكمة من ذلك وهي أنها تورث في نفس الذي يلبسها نوعا من الكبر وشراسة الطبع ، وحمل كثير من أهل العلم هذا النهي على الكراهية ، لأنه جاء في أحاديث أخرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن بالانتفاع ولبس جلود الميتات إذا دبغت ما عدا الميتات النجسة كالكلب والخنزير.

قال صلى الله عليه وسلم أنه :" دباغ جلود الميتة طهورها".

المحاضرة الثالثة:الإيمان بالجن

تعريف الجن لغةً

الجن اسم جنس جمعي واحده جني، مأخوذ من الاجتنان وهو عدم الظهور والاختفاء وسموا بذلك لأنهم مستترون عن أعين الناس.

وضدهم الإنس، وسموا بذلك لأنهم ظاهرون ، من آنست الشيء إذا رأيته ومنه قول الله تعالى:

[1] مسند الإمام أحمد

[2] مسند الإمام أحمد وسنن أبي داوود

" إني آنست نارا"[1] أي إني رأيت نارا.
وكلمة الناس من النوس أي الحركة.
وكلمة إنسان من النسيان.

- والأصل:(ج ن ن) يدل على الاستتار،ومنه المجن:وهو الترس الذي يقي المحارب ويستره، وكذلك سميت الجنة لكثرة أشجارها فهي تخفي من فيها.

فنقول الجن جمع جني وجمع الجمع جنة ومنه قوله تعالى:"وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا"[2]

في الاصطلاح الشرعي

الجن:نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان مستترون عن الحواس ولا يُرون بصورتهم الحقيقية ولهم قدرة على التشكل يأكلون ويشربون ولهم ذرية وهم محاسبون على أعمالهم في الآخرة.

خلق الجن

1- بداية خلقهم: إن الله سبحانه وتعالى خلق الجن قبل خلق الإنس.
والدليل قوله تعالى:"ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم"[3] الشاهد قوله من قبل.
ودليل آخر على أن خلق الجن سابق لخلق آدم هو أن الله لما خلق آدم أمر الملائكة وإبليس أن يسجدوا لآدم.
وقد ذكر بعض المفسرين نقلا عن بعض الروايات الإسرائيلية أن الجن كانوا يسكنون ا لأرض قبل الإنس ولذلك لما أخبر الله تعالى الملائكة أنه سيخلق آدم ويستخلفه في الأ رض قالت الملائكة:" ...أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء..."[4] فهذا دليل على أن ثمة مخلوقات قبل بني آدم كانوا قد استخلفوا في الأرض فسفكوا الدماء واستحلوا محارم الله. (وهذه مروية من مرويات بني إسرائيل ونحن نرويها ولا نصدقها ولانكذبها)

2- أصل مادتهم: إن الجن خُلقوا من نار، ويدل على ذلك القرآن والسنة.
أدلة من القرآن: قال الله تعالى:"والجان خلقناه من قبل من نار السموم"[5] وقال:" وخلق الجان من مارج من نار"[6] وقال:" قال أنا خير منه خلقتنبي من نار وخلقته من طين"[7]
أدلة من السنة: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وُصف لكم"[8]

---
[1] طه 01
[2] الصافات 851
[3] الحجر 62-72
[4] البقرة 03
[5] الحجر 72
[6] الرحمن 51
[7] الأعراف 21
[8] صحيح مسلم

يقول الطبري رحمه الله: المارج هو ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر، وقال ابن عباس رضي اللّه عنه: المارج هو اللّهب.
-والجمع بين القولين: أن آخر لهب النار وهو أعلاه يكون مختلطا ألوانه فمرة يظهر أحمر ومرة أزرق وهكذا، فمن هذه المادة خُلق الجن من لهب النار.
والمراد بقوله تعالى نار السموم: أي من نار الحر الشديد النافذ في المسمام.
ج- هل كان إبليس أبو الجن من الملائكة؟:
ذهب بعض أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة فلما عصى الله تعالى أخرجه من صف الملائكة ويستدلوا أولئك بقول اللّه تعالى:"وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ....".
وجه الدلالة: هو أن المستثنى جزء من المستثنى منه، فيكون إبليس من الملائكة.
لكن هذا الاستدلال ضعيف جداً.
ولهذا ذهب عامة أهل العلم إلى أن إبليس وذريته لم يكونوا قط من الملائكة، ويدل على ذلك عدة أدلة:

1) قول اللّه تعالى:" وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه"[1]. فبين الله أن سبب فسقه كونه من الجن،أي أنه من عنصر أو من جنس آخر غير الملائكة.
أما الاستثناء في قوله تعلى:" فسجدوا إلا إبليس" فإنه استثناء منقطع أي أن" إلا" هنا بمعنى لكن.
وهو كقوله تعالى:" لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا..."[2] هذا الا ستثناء منقطع لأن الحميم والغساق ليس من البرد والشراب والمعنى: لكن يطعمون الحميم والغساق.
2) عن عائشة رضي اللّه عنها أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال:" خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وُصف لكم"[3]. ففرق الرسول صلى اللّه عليه وسلم بين خلق الملائكة وخلق الجن.
3) الملائكة من صفتهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويسبحون الليل ولا يفترون، وما فعله إبليس يعتبر معصية ولا يتناسب مع صفات الملائكة.

وهناك قول آخر أشار إليه ابن تيمية رحمه اللّه في هذه المسألة فقال:" الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله" ولكن هذا القول ليس عليه دليل، وعامة أهل العلم على أن إبليس لم يكن من الملائكة،وهو الصحيح.
د- أسماؤهم: للجن أسماء متعددة وبعضها قد يلتبس مع بعض فمن أسمائهم:

---

[1] الكهف 05
[2] النبأ 42- 52
[3] صحيح مسلم

1) الجن، ومنه قوله تعالى:" قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن...."[1]
2) الشياطين: ما العلاقة بين الشيطان والجن؟
- (فائدة:كل لفظين فالعلاقة بين حقيقتيهما إما ترادف أو تباين أو عموم وخصوص مطلق أو عموم وخصوص وجهي؟ وإليك مثال على ذلك:
- ترادف أي تساوي مثل ليث = أسد.
- تباين أي لا يوجد درجة للالتقاء مثل أسود وأبيض.
- العموم والخصوص المطلق مثل الإنسان والعربي أي كل عربي إنسان وليس كل إنسان عربي.
- العموم والخصوص الوجهي مثل المسلم وأمريكي فقد يكون الأمريكي مسلما وقد لا يكون والمسلم قد يكون أمريكي وقد لا يكون).
فإذا أطلق الشيطان فإنه ينصرف إلى شيطان الجن، وشيطان الجن هو كل عات ومتمرد من الجن هذا عند الإطلاق، وأحيانا يقيد فيقال شيطان الإنس وشيطان الجن فيراد بشيطان الجن العاتي والمتمرد منهم والمراد بشيطان الإنس العاتي والمتمرد منهم أيضا.
-فمن استعمال لفظ الشيطان مقيداً قوله تعالى:" وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول...."[2]
- ومناستعمال لفظ الشيطان مطلقاً قوله تعالى:" إن الشيطان كان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوا"[3]
ومنه قوله تعالى:" إن كيد الشيطان كان ضعيفا"[4]، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم:" إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم".
فعند إطلاق كلمة شيطان فالعلاقة علاقة عموم وخصوص مطلق فكل شيطان جني وليس كل جني شيطان.
3) العفاريت: جمع عفريت ومنه قوله تعالى:" قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل..."[5]
يقول ابن منظور في كتاب لسان العرب: العفريت هو النافذ في الأمر المبالغ فيه مع خبث ودهاء. ومنه العفريت الذي كان مع سليمان في قوله تعالى:" قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك". ويُطلق على بعض الإنس عفريتاً إذا كان داهية في الأمر.
4) الغول: ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:"إذا تغولت الغيلان فبادروا بالآذان"[6].

---
[1] الجن 1
[2] الأنعام 211
[3] فاطر 6
[4] النساء 67
[5] النمل 83
[6] رواه الإمام أحمد

5) إبليس، فمن هو إبليس وما علاقته بالجن؟
إبليس هو أبو الجن والدليل قول الله تعالى:"أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا"[1]، وتُطلق كلمة إبليس على ذلك العاتي المتمرد الذي امتنع من السجود لآدم ولا تطلق على جميع الجن ولا على جميع الشياطين وإنما على أبيهم إبليس، فإبليس هو أصل الجن .
وكلمة إبليس مأخوذة من البلس ،والبلس: من لا خير عنده.
- ومن ذرية إبليس من هو مؤمن وكافر لكن يغلب عليهم الكفر.
-إبليس من بين سائر الجن والشياطين أمهله الله تعالى إلى يوم القيامة، فقد سأل الله أن يُنظره إلى يوم القيامة ليُغوي بني البشر، قال تعالى:".....قال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم"[2].
ه- صفات الجن
1) أنهم ذوات متميزة بصفاتها وحقائقها عن سائر المخلوقات، ومعنى هذا أن الجن لهم ذوات مغايرة لذوات غيرهم من الإنس والملائكة والحيوان والجماد فهم خلق آخر.
- ولم يرد في الشرع ما يدل على أن أجسام الجن رقيقة أو كثيفة وكيفية هذه الذوات.
3) قدرتهم على التشكل، فالجن قادرون على التشكل وهذه القدرة أعطاهم الله إياهم حتى يراهم الناس على هذه الهيئة ويكون بهم الابتلاء وهذه القدرة كقدرة الملا ئكة على التشكل. ولكن الجن قد يتشكلون على صورة أشياء خبيثة ومردودة أما الملائكة فلا تتشكل على هيئة أشياء خبيثة.
ومن الأدلة على تشكلهم ما يلي:
أولا ً:من القرآن:
- ما أشار الله تعالى إليه في سورة الأنفال من أن الشيطان أتى كفار قريش قبيل غزوة بدر ووعدهم بالنصر ومناهم بأنهم سينتصرون، قال تعالى:",وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لهم لا غالب اليوم لكم من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه.."[3]، قيل : إن الشيطان جاء على صورة سراقة بن مالك ابن جعشم المدلجي وهذا صحابي جليل ولكن وقع هذا قبل إسلامه. فقال لهم إني جار لكم ولن يصيبكم مكروه ولا أذى وستنتصرون على المؤمنين فلما رأى القتال ورأى الملائكة ورأى جبريل عليه السلام يتقدم صفوف الملائكة قال: "...إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب"[4]
من السنة:

[1] الكهف 05
[2] الحجر93-04
[3] الأنفال 84
[4] المرجع السابق

1- ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة عندما أمره النبي صلى الله عليه وسلم بحراسة تمر الصدقة يقول رضي الله عنه: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قال قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال أما إنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال أما إنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأ رفعنك إلى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هو قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قلت قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية الله لا إله إلا هو الحي القيوم وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة قال لا قال ذاك شيطان .متفق عليه

2- عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم:" يقطع صلاة الرجل المسلم إذا لم يكن بين يديه مثل مؤخرة الرحل المرأة والحمار والكلب الأسود"[1] فقال أبو ذر: يا رسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر من...فقال : الكلب ا لأسود من الشيطان.رواه مسلم

3- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس قال فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله فاستأذنه يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ عليك سلاحك

[1] ثبت في الصحيحين

فإني أخشى عليك قريظة فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها الرمح ليطعنها به وأصابته غيرة فقالت له اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى قال فجئنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له وقلنا ادع الله يحييه لنا فقال استغفروا لصاحبكم ثم قال إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان.أخرجه مسلم

4- قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع صفية، حيث كان معتكفا في المسجد وجاءته صفية تزوره ثم ذهب يشيعها ووقف يحدثها فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا في المشي، فقال عليه الصلاة والسلام على رسلكما فإنها صفية فقالا أفيك يا رسول الله؟ فقال إني خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شرا إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

ونستفيد من هذا الحديث:

أنه إذا تصرف الإنسان تصرفاً ويخشى أن يظن الناس به ظنا سيئا فمن المستحسن أن يبين لهم عمله ذلك أو سببه.

- وقد اختلف أهل العلم في إمكانية رؤية الجن على هيئتهم التي خلقهم الله عليها أو الصور التي يتشكلون بها؟

ولأهل العلم ثلاثة أقوال في هذا:

القول الأول: قول عامة أهل العلم وجمهور أهل السنة والجماعة أن الجن لا يمكن رؤيتهم على هيئتهم الأصلية لكن يمكن رؤيتهم إذا تشكلوا على هيئة أخرى. وأدلتهم: الأدلة السابقة، وهناك دليل خاص لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن وفد الجن أتوه واجتمع بهم وعلمهم القرآن, قال تعالى:"قل أُوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرءآنا عجبا"[1] وهذا الجن سماهم الراوي وفد جن نصيبين، فرآهم النبي بعد تشكلهم على هيئة البشر وخاطبهم عليه الصلاة والسلام وسألوه الطعام فقال لهم:"كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحما وكل روث أو بعر علف لدوابكم"[2].

واستدل أصحاب هذا القول على أن الجن لايرون على هيئتهم الأصلية: بقول الله تعالى :" ...إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم..."[3] فحُملت هذه الآية أنهم لا يُرون على هيئتهم الأصلية لكن يُرون إذا تشكلوا.

---

[1] الجن 1
[2] حديث ابن مسعود في الصحيح.
[3] الأعراف 72

القول الثاني: وقال به ابن حزم والنحاس واالقشيري وهو أن الجن لا يراهم إلا الأ نبياء. ويستدلون بهذه الآية:" ...إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم..." ويقولون إ ن رؤية الأنبياء للجن من قبيل المعجزات.

الرد على هذا القول:

هذا القول مُعارض بالأدلة السابقة ، وأجاب أصحاب القول الأول عن هذه الآية بجوابين:

1- يقول ابن حجر: إن قوله تعالى "إنه يراكم هو وقبيله..." مخصوص بما إذا كان على صورته التي خُلق عليها.

2- يقول الشوكاني إن هذه الآية غاية ما فيها أن الشيطان يرانا من حيث لا نراه وليس فيها أنا لا نراه أبدا، فإن انتفاء الرؤيا منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفائها مطلقاً.

القول الثالث: وقال به ابن العربي والألوسي (صاحب كتاب روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني)، قالوا إن الجن يراهم الأنبياء وغيرهم بصورتهم الأصلية.

وهذا القول لا دليل عليه.

تابع:صفات الجن :ومن صفاتهم كذلك:

3)أنهم يتناكحون ويتناسلون والدليل قوله تعالى:"...أفتتخذونه وذريته..."[1] وقال في وصف نساء الجنة أيضاً:"لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان"[2] أي لم يفضض بكارتهن، وهذا دليل على أنهم يتناكحون.

هذا من حيث تناكحهم فيما بينهم،أما من حيث نكاح الجني للإنسية والعكس فنقول من حيث الوقوع فقد ذكر عدد من أهل العلم أنه ممكن ووقع شيء من ذلك، أن الجني يتمثل على هيئة البشر وينكح الإنسية أو العكس، قال ابن تيمية رحمه الله: قد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف، انتهى كلامه

أما من ناحية الحكم الشرعي ، فيقول الإمام مالك: أكره زواج الجني بالإنسية لأن الله تعالى جعل الزواج مودة ورحمة وهذا غير ممكن ولا يتحقق بينهم.

وذهب بعض أهل العلم إلى التحريم ويستدلون بقوله تعالى:" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا"[3]

والجن فيهم ذكور وإناث فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل الخلاء فال:"اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث وفي رواية الخبُث"زأخرجه السبعة قال أهل العلم الخبُث جمع خبيث وهم ذكور الشياطين و الخبائث جمع خبيثةوهن إناث الشياطين.

.

---

[1] الكهف 05

[2] الرحمن 65

[3] النحل 27

4) أنهم يأكلون ويشربون والدليل ما ورد عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم ق ال:"أتاني داعي الجن فانطلقت معهم فقرأت عليهم القرآن... فسألوني الطعام والزاد فقلت: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحما وكل روث علف لدوابكم. ثم قال عليه الصلاة والسلام فلا تستنجوا بهم"[1]
دليل آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله".رواه البخاري
5) أنهم مكلفون ولهم إرادة واختيار ودليل ذلك قوله تعالى:" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"[2] فهم مكلفون مثل أن بني آدم مكلفون، وقال أيضاً:" يا معشر الجن والإ نس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم...."[3]
6) سرعة الحركة والتنقل والقدرة على الأعمال الشاقة، والدليل قوله تعالى:" ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ...."[4] فسخر الله تعالى لسليمان عليه السلام الريح والجن، وكان عليه السلام شديدا عليهم.
ومن الأدلة على سرعة تنقلهم، قصة العفريت الذي قال لسليمان أنا آتيك به (عرش ملكة سبأ) قبل أن تقوم من مقامك.
وكذلك كانوا يسترقون السمع من السماء وهذا دليل على سرعة تنقلهم ، كما قال تعالى:" وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع.."أي كان الجن يصعد الواحد منهم فوق الثاني حتى يصلوا إلى السماء، ولكن عندما بعث الله تعالى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام شدد الحراسة على السماء. قال تعالى:" وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديدا وشهبا" فملئت السماء بالشهب التي تمنع الجن من استراق السمع.
7) أنهم يموتون ويُبعثون بعد الموت ودليل ذلك قوله تعالى:" أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين"[5].
دليل من السنة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول:" أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"[6].
 وورد عن الحسن البصري أنه قال : إن الجن لا يموتون ولكن حمل أهل العلم كلامه على أنهم قد يُنظرون مع إبليس فإذا مات ماتوا معه. وهذا القول لا دليل له. والأصح أن الجن يموتون ما عدا إبليس فإنه يموت عند قيام الساعة لأن الله أنظره وحده.
8) أنهم يسكنون هذه الأرض والدليل قوله تعالى:" فأخرجهما الشيطان مما كانا فيه

---

[1] صحيح مسلم.
[2] الذاريات 65
[3] الأنعام 031
[4] سبأ 21-31
[5] الأحقاق 81
[6] رواه البخاري

فقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو..."[1] والشاهد قوله اهبطوا لأن الخطاب لآدم وحواء و لإبليس.

وأيضاً قوله تعالى:" والأرض وضعها للأنام"[2].

قال الحسن الأنام أي للإنس والجن. وقال الضحاك الأنام كل ما يدب على الأرض، ومن الخطأ أن يظن الناس أن الجن يسكنون أسفل الأرض لأن هذا لا دليل عليه. لكن لهم أماكن من الأرض يكثر وجودهم فيها مثل:

1- الحشوش أي الحمامات، قال عليه الصلاة والسلام في حديث زيد ابن أرقم:" إن هذه الحشوش محتضرة (أي يحضرها الشياطين) فإذا دخل أحدكم الخلاء فلي قل اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث"

2- الأسواق، فقد جاء في صحيح مسلم عن سلمان رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال:" لا تكونن لو استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته". والمقصود أن يحرص الإنسان قدر الاستطاعة أن لا يكثر من الذهاب إلى السوق، لأن السوق مظنة الفتنة لكثرة الكذب والحلف والفسق عند البائع وكثرة وجود النساء المتبرجات ويكثر تجمع شياطين الإنس والجن فيه ،ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:" أحب بلاد الله إلى الله مساجدها وأشر بلاد الله إلى الله أسواقها".

3- البيوت التي لا يُذكر اسم الله فيها، قال صلى الله عليه وسلم:"صلوا في بيوتكم ولا تجعلوا بيوتكم قبورا" فالبيوت التي لا يُصلى فيها ولا يُقرأ فيها القرآن تكون كالقبور، فالشيطان يفر من البيت الذي يُقرأ فيه القرآن لا سيما سورة البقرة.

4- ما بين الشمس والظل فقد جاء في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا جالسا بين الشمس والظل فقال له النبي مجلس الشيطان ثم قال: إذا جلس أحدكم في مكان فقلص عليه الظل فليقم من مكانه فإنه مجلس الشيطان".

5- معاطن الإبل فقد جاء في مسند الإمام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال:"لا تصلوا في معاطن الإبل فإنها خلقت من الشياطين"[3]

وعامة أهل العلم على أن المراد بذلك تشبيه الإبل بالشياطين من حيث شراسة الطبع وقوة الشكيمة ولأن الشياطين تسكن معاطن الإبل، ولهذا جاء في حديث آخر:" على رأس كل شارف منها شيطان فاركبوها باسم الله"، لأن الإبل فيها شراسة طبع.

وقال صلى الله عليه وسلم:"الفخر والخيلاء في أهل الإبل والرقة والسكينة في

---

[1] البقرة 63
[2] الرحمن 01
[3] رواه الإمام أحمد

أهل الغنم".

مسألة: مواقف الملل والطوائف من الإيمان بالجن:
أولا ً:مذهب أهل السنة والجماعة:
من عقيدة أهل السنة الإيمان بالجن وبوجودهم وبصفاتهم التي ذكر الله تعالى في القرآن الكريم وذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة النبوية وأجمعت عليها ا لأمة، والإيمان بالجن دل عليه القرآن والسنة والإجماع والعقل والمشاهدة.
أما الكتاب:
فمئات الآيات التي تتحدث عن الجن وتبين صفاتهم وخصائصهم وقدراتهم ووسوستهم في نفس الإنسان ومآلهم في الآخرة. قال تعالى:"قل أُحي إلي أنه استمع نفر من الجن"، وبين الله تعالى أنهم أصناف متعددة فقال تعالى:"وأنا منا الصالحون ومنّا دون ذلك كنّا طرائق قددا" أي متعددين، ومنهم المسلم ومنهم القاسط "وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون" أي الظالمون.
وردّ الله على مقولة المشركين حينما نسبوا الجن إلى الله تعالى "وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا..."[1]، فعندما قال المشركون هذا لم ينكر الله تعالى وجود الجن أصلا ً،بل قال :"...ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون"[2] أي حتى إن هؤلاء الجن الذين تزعمون أن بين الله وبينهم نسب، سيُحضرون يوم القيامة للجزاء والحساب.
ومن السنة:
هناك أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم لإثبات وجود الجن في كيفية خلقهم وصفاتهم وقد أشرنا إلى بعضها في ما سبق.
الإجماع:
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا أن الله تعالى أرسل محمداً إليهم ، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم يقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن كان فيهم من ينكر ذلك كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك كالجهمية والمعتزلة، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك. انتهى كلامه.
العقل:
والعقل يدل على وجود الجن ولا يُحيل ذلك لأن الجن من عالم الغيب الذي لا يدرك بـ الحس والمشاهدة، وقد عُلم عقلا ً وحساً أن في الكون أشياء لا يُدركها الإنسان بحواسه الخمس ولكن يُوقن بوجودها بسبب وجود آثارها، مثل الكهرباء والموجات الصوتية.

[1] الصافات 851
[2] المصدر السابق

فمن سمة المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب ومنه الإيمان بالجن، فهل الإيمان بالجن يحيله العقل أي أنه من الأشياء التي تستحيل عقلا ؟

يقول شيخ الإسلام: إن الشريعة تأتي بما يحار به العقول ولا تأتي بما تحيل به العقول.

فالإيمان بالجن مما يحار به العقل ولا يستطيع أن يدركه بمجرده ولكن لا يحيله.

ونقول إن العقل لا يمنع من وجود هذه الكائنات ،وحيث سلم العبد بأن الله على كل شيئ قدير وأنه يجعل بعض مخلوقاته محسوساً مشاهداً أمام خلقه ،ويجعل بعضها مستتراً،من عالم الغيب فمالذي يمنع من التسليم بهذه القضية وقد تواترت نصوص القرآن والسنة على إثباتها ،والعقل لايحيلها .

ولهذا نقول - لمن أنكر الجن بحجة أن العقل أو الحس لايدركهم-:هب أن العقل لايدرك هذه المخلوقات ،فإنه لايحيلها ، وفرق بين ما لايدركه العقل،وبين ما يحيله .

عقيدة أهل الكتاب في الجن:

أهل الكتاب يؤمنون بالجن ولكن يخالفون المسلمين في بعض الأمور فمثلا :

اليهود يؤمنون بأن إبليس كان من الملائكة ثم كفر بالله تعالى، واسم إبليس بالتوراة "بعليزبال" ومعناه رب الزبالة، ويسمون الشيطان (مشطيم) و(بلي عال) أي روح الكذب. ومن نصوص التوراة:" لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم".

والنصارى كانوا وما زالوا يؤمنون بالجن، ومن نصوص إنجيل لوقا:" وكانت شياطين تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون ". وهنا يشيرون إلى الصرع والمقصود أن النصارى يؤمنون بوجود الجن ويعتقدون أنهم كانوا أعلى رتبة من الإنسان ثم كفروا بالله فصاروا أذل منه.

عقيدة مشركي العرب فيهم:

كان مشركو العرب يؤمنون بالجن ,مع كثير من الخرافات، ولهم معتقدات غريبة فيهم، فمن ذلك أنهم جعلوا بين الله وبين الجنة نسبا كما قال تعالى:" وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا"، فهم قالوا إن الجن من الملائكة والملائكة بنات الله. تعالى الله عما يقولون. ورد الله تعالى عليهم بقوله:" ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون". وكذلك جعلوا الجن شركاء لله بالعبادة كما قال تعالى:"وجعلوا لله شركاء الجن والإنس وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات"[1].

وذكر الله تعالى في سورة الجن نموذجاً عن عبادتهم للجن فقال:"وأنه كان رجال من ا لإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا" وقد كان كفار قريش إذا نزلوا في واد قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. وقوله سبحانه "فزادوهم رهقا" تحتمل معنيين وكلاهما صحيح:

1- أي أن الإنس زادوا الجن طغيانا وكفرا.

[1] الأنعام 001

2- وكذلك الجن زادوا الإنس كفراً وبعداً عن الله تعالى.
وكان كفار قريش يزعمون أن الجن يعلمون الغيب ولذلك كانوا يأتون إلى السحرة و الكهنة والمشعوذين ليأخذوا منهم علم الغيب، فرد الله عليهم وبين أنه لا يعلم الغيب إ لا الله، قال تعالى:"قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله..."[1]
مسألة:انحرافات بعض المنتسبين إلى الإسلام في الإيمان بالجن:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: زعم الملاحدة والمتفلسفة بأن الملائكة هم قوى النفس الصالحة والشياطين هم قوى النفس الخبيثة ويجعلون سجود الملائكة طاعة القوى للعقل وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثة للعقل.اه
هكذا كان تأويل الفلاسفة المتقدمين، ووُجد في العصر الحاضر من انتحل نحلهم وأخذ بهذا الرأي فأول بالملائكة على أنهم قوى النفس الصالحة وأن الشياطين هم قوى النفس الخبيثة، فحكموا الأمور للعقل وجعلوا المدار في الأحكام الشرعية على العقل.
وهذا تأويل باطل.
فمن الانحرافات في هذه القضية:

الانحراف الأول: (وقد قال به من أصحاب المدرسة العقلية:قال به محمد رشيد رضا).
تأويل الملائكة على أنهم قوى النفس الصالحة وأن الشياطين هم قوى النفس الخبيثة وقالوا: إن هذا تعبير قرآني مجازي لا يُراد منه حقيقتة وإنما هذه النصوص مُؤولة، فإذا قال الله تعالى:"وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.." أي أمرنا قوى النفس الطيبة أن تمتثل لله تعالى وليس المراد به حقيقة الملائكة.
الانحراف الثاني: وقال به الشيخ محمد عبده.
بعض أصحاب المدرسة العقلية المعاصرة نحى منحىً آخر وقالوا :إن الملائكة هي الروح الطيبة التي تدب في النفس والشياطين أو الجن هي الروح الخبيثة التي تأمر ا لإنسان بالشر. فأصحاب هذا القول يقولون أن الملائكة هي الروح نفسها أما القول الآ خر فيقولون هي قوى النفس .

القول الثالث: منهم د. محمد البهي.
يؤمنون بالملائكة وفقا لما جاء في القرآن والسنة ولكنهم يقولون إن الجن بشر كانوا يختفون عن أعين الناس في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فسماهم الله في القرآن بالجن لاختفائهم عن أعين الناس.
<u>الرد على هذه الأقوال:</u>

---
[1] النمل 65

هذه الأقوال لا يمكن أن تتوافق مع نصوص القرآن والسنة، فالله تعالى وصف الملا ئكة بصفات ووصف الجن بصفات لا يمكن أن تُحمل على هذه المحامل التي ذكروها.
منها:

1) أمر الله تعالى الملائكة بالسجود، والمناقشة التي وقعت بين الملائكة وربها حيث قالت " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء"، فهل يمكن أن يكون هذا الكلام صادراً من قوى النفس الطيبة مثل ما يقولون أو تكون أرواح؟ فهذا لا يمكن تصوره وهو تأويل بعيد. وأيضاً إبليس عندما استكبر عن السجود وذكر سبب امتناعه وقوله أن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين، فكل هذه الآيات تنفي وتمنع أن تُحمل النصوص على ما ذكروه.
2) أنه سبحانه وتعالى وصف الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فهل يصح ذلك من نوازع النفس الطيبة؟
3) أن النبي صلى الله عليه وسلم، التقى بوفد الجن وسألوه الطعام والزاد فقال لهم:" لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه..."فهل من الممكن لنوازع الشر في النفس الإنسانية أن تأكل العظم ويكون الروث علف دوابها؟

فحمل النصوص القرآنية على ما حمله هؤلاء بعيد كل البعد، وغايتهم من ذلك هو أن يقربوا شيئا من عالم الغيب إلى عالم الحس والمشاهدة، فيُرد عليهم بأن نبل الغاية لا يبرر فساد الوسيلة.

حكم من أنكر الجن

ذهب عامة أهل العلم إلى أن من أنكر الجن وتأول فيهم تأويلا ً يخرجهم عن ظاهرهم فهو كافر لأنه ردّ شيئا معلوما من الدين بالضرورة، وقد تواترت نصوص القرآن والسنة على إثبات الجن وأنهم خلق آخر مغاير لخلق الملائكة وخلق الإنس وأنهم مكلفون ويُجازون بأعمالهم.
- يقول ابن حزم رحمه الله: من أنكر الجن أو تأول فيهم تأويل يخرجهم عن ظاهرهم فهو كافر.
- وقال ابن حجر الهيتمي: وإنكار المعتزلة لوجودهم فيه مخالفة للكتاب والسنة والإ جماع، بل ألزموا به كفرا، ومن ثم قال بعض المالكية الصواب كفر من أنكر وجودهم لأ نه جحد نص القرآن والسنة والإجماع.

تكليف الجن

يقول ابن القيم: الصواب الذي عليه جمهور أهل الإسلام أنهم مأمورون منهيون مكلفون بالشريعة الإسلامية والأدلة على ذلك أكثر من أن تُحصى.

الأدلة من القرآن على تكليف الجن

1) ذكر الله تعالى في آيات متعددة الحكمة من خلق الجن، فقال :"وما خلقت الجن وا لإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون "[1] فاللام في قوله تعالى ليعبدون هي لام التعليل وهي لام غائية أي الحكمة من خلقهم هي العبادة. قال علي رضي الله عنه: إلا لآمرهم أن يعبدوني.
2) صرف الجن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم واستماعهم للقرآن، قال تعالى:"وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به..."[2]
3) استماع الجن للقرآن في غير ما موضع من النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:" قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا"[3] فالذي في سورة الجن غير الذي سورة الأحقاق وذلك أن الجن إلتقوا بالنبي عليه الصلاة والسلام عدة مرات وليس مرة واحدة.
4) إرسال الرسل إليهم: قال تعالى:"يا معشر الإنس والجن ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا..."[4]
5) الآيات التي تتضمن خطاب الإنس والجن معا مما يدل على أن الجن مكلفون مثل ما الإنس مكلفون مثل سورة الرحمن فالخطاب فيها كله موجه للإنس والجن معاً.

فعن جابر رضي الله عنه قال: خرج صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا وقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كلما أتيت على قوله تعالى: فبأي آلاء ربكما تكذبان، قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.[5]

قال ابن القيم: هذا دليل على ذكائهم وفطنتهم ومعرفتهم بمؤونة الخطاب وعلمهم أنهم مقصودون به.

6) آيات التحدي الموجهة للإنس والجن، مثل قوله تعالى:"قل لإن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا".
7) الآيات التي تدل على مجازاة مسيئهم ومحسنهم مثل قوله تعالى:"ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها"، والدليل على أن محسنهم يثثاب قوله تعالى:"يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنو به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم"، وأيضاً قوله تعالى:"وأن منا

[1] الذاريات 65
[2] الأحقاق 92-13
[3] الجن 1-2
[4] الأنعام 031
[5] رواه الترمذي وهو حديث صحيح

المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا".

الأدلة من السنة

1) وفود الجن التي التقت بالنبي صلى الله عليه وسلم، عن علقمة قال، قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد؟ قال ما صحبه منا أحد ولكن قد افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة فقلنا:اغتيل أو استطير....فبتنا بشر ليلة بات بها قوم حتى إذا أصبحنا، إذا نحن به يجيء من قبل حراء، فذكروا له الذي كانوا فيه فقال أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم، فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، قال وسألوه الزاد، وكانوا من جن الجزيرة فقال" كل عظم ذكر اسم الله يقع في أيديكم تجدونه أوفر ما يكون لحما وكل روث علف لدوابكم، فقال صلى الله عليه وسلم: لا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن"[1]
2) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"فُضلت على الأنبياء بست، أُعطيت جوامع الكلم ونُصرت بالرعب مسيرة شهر وأُرسلت إلى الخلق كافة..."[2] ، يقول السبكي رحمه الله: إن قوله وأُرسلت إلى الخلق كافة يشمل الجن والإنس، وحمله على الإنسان خاصة، تخصيص من غير دليل فلا يجوز.

مسألة في تكليف الجن: جنس الرسل المرسلين إليهم

اتفق العلماء على أن محمدا صلى الله عليه وسلم مُرسل إلى الجن والإنس ، واختُلف هل بُعث لهم نبي قبله أم أن رسلهم هم رُسل البشر؟
على قولين:
القول الأول: وهو رأي جمهور أهل العلم، قالوا إن رسل الجن من البشر، وإنما يكون في الجن نذر يتلقون من الرسل ثم ينذرون قومهم.
يقول ابن عباس: رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي من الأنبياء كما قال تعالى:" ولوا إلى قومهم منذرين".
الأدلة على هذا القول:

1) قول الله تعالى على لسان الجن الذين استمعوا للوحي:"قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم"، وهذا دليل على إيمانهم بموسى.
2) قول الله تعالى:"وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ً نوحي إليهم فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"، وجه الدلالة أن الله سبحانه وتعالى وصفهم بأنهم رجال و

[1] صحيح مسلم
[2] صحيح مسلم

هذا لا يكون إلا للبشر.

3) اجماع الأمة على أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث للثقلين، فهذا دليل على أن رسل الإنس هم رسل الجن.

القول الثاني: وهو قول مقاتل والضحاك وابن حزم الظاهري، قالوا إن في الجن رسلا منهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم واستدلوا بما يلي:

قال تعالى:"يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم"، فظاهر الآية: أن الجن لهم رسل منهم والإنس لهم رسل منهم.
الرد على هذا الاستدلال :
هذ الاستدلال غير صحيح لأمرين:
الأمر الأول:
أن قوله تعالى رسل منكم، لا يلزم منه أن يكون رسل الجن منهم ورسل الإنس منهم، فالمراد بقوله منكم أي من أحدكم. وهذا كقوله تعالى:"مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلآء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" أي يخرج من أحدهما،لأن اللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من البحر لامن النهر .
الأمر الثاني أن المراد بالرسل هنا، النذر الذين ينذرونهم ويبلغونهم رسالات الله كما كان في وفد الجن الذين أتوا النبي عليه الصلاة والسلام، فإن اللّه سماهم نذرا في قوله تعالى:"وإذ صرفنا إليك نفر من الجن.....ولوا إلى قومهم منذرين"، فتسميتهم برسل أو نذر لا يعني أنه يُوحى إليهم.
يقول أهل العلم :إن الخلاف في هذه المسألة سائغ لأن الأدلة ليست قطعية لكن الأ ظهر من الأدلة والأقوى أن رسل الجن هم نفسهم رسل الإنس،ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم.

كيفية تكليف الجن

تكليف الجن مشابه لتكليف الإنس من حيث الأصل فهم مأمورون ومنهيون، ومكلفون بالأصول والفروع، كالإيمان باللّه وبقية أركان الإيمان وفروع الشريعة كالصلاة و الصيام والزكاة إلا في بعض الأحكام التي لا تناسب طبيعتهم فهم غير مكلفون بها، مثل أكلهم طعام ما تبقى من طعام الإنس دون إذنهم، فهذا جائز لهم ومثل هذه الأ حكام خاصة بهم.

جزاء الجن في الآخرة

اتفق أهل العلم على أن كفار الجن في النار بنص القرآن الكريم، في قوله تعالى:" ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" وقوله:" قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا" وقال أيضاً:" لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين".

واختلف أهل العلم في مؤمنهم، هل يدخل الجنة أم لا؟
على ثلاثة أقوال:
القول الأول: وهو مروي عن أبو حنيفة ولم يثبت عنه، أن جزاء مؤمنهم النجاة من النار فحسب، ثم يُقال لهم يوم القيامة كونوا ترابا، ويستدلون بقول اللّه تعالى:" يا قومنا أجيبوا داعي اللّه وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم".
ووجه الدلالة: أن اللّه جعل غاية جزائهم إذا آمنوا النجاة من النار .
القول الثاني:وهو قول جمهور أهل العلم ومنهم الأئمة الثلاثة، مالك وأحمد والشافعي وعامة أهل السنة، قالوا :إن مؤمن الجن يدخل الجنة كمؤمن الإنس، واستدلوا بعدة أدلة منها:

1) عموم الآيات التي تبين أن جزاء المؤمن دخول الجنة، وهذه الآيات شاملة للإ نس والجن.
2) قوله تعالى في سورة الأحقاق:"أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يُظلمون[1]" لكل أي الإنس والجن.
3) قول اللّه تعالى:" وأنا لما سمعنا الهدى آمنّا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا"[2] أي لا يُبخس عمله.
4) قوله تعالى: فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان"[3]، وهذا دليل على أن الجن يدخلون الجنة.
5) قوله تعالى:" ولمن خاف مقام ربه جنتان"[4] يقول ابن كثير هذه الآية عامة في ا لإنس والجن ، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، لأنه يقول "فبأي آلاء ربكما تكذبان" فالخطاب للجن والإنس معاً.

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه اللّه: وهذه الآية تدل على أن ثواب محسنهم الجنة من عدة أوجه:
الوجه الأول: قوله سبحانه وتعالى "من خاف" من هي من صيغ العموم وتشمل الإنس والجن.
الوجه الثاني: قوله عقيب هذا الوعد "فبأي آلاء ربكما تكذبان" هو خطاب للإنس و الجن.
الوجه الثالث: أنه ذكر في وصف نسائهم أي نساء أهل الجنة"لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جان" أي أنه لم يطمث نساء الإنس إنس ولا نساء الجن جان.
القول الثالث: هو التوقف في المسألة أي عدم القول بأنهم يدخلون الجنة أو لا

[1] الأحقاق 71-91
[2] الجن 31
[3] الرحمن 65
[4] الرحمن64

يدخلون. والراجح القول الثاني

مراتبهم في الصلاح والفساد
الجن على رتب متعددة في الصلاح والفساد، يقول تعالى:"وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا"[1] أي طوائف متعددة فمنهم الكافر ومنهم المبتدع ومنهم الفاسق ومنهم المؤمن ومالإلى ذلك.
عداء الجن للإنس وتأثير هم عليهم
تاريخ العداء(المرحلة الأولى من العداء):
1- تاريخ العداء موجود منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم وقبل أن يأمر الملائكة بـالسجود.
عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطوف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خُلق خلقا لا يتمالك (أي ضعيف) "[2]
2-أيضاً في المرحلة الأولى بدأ العداء بين أبينا آدم وإبليس عندما أمر الله الملائكة بـالسجود وأمر إبليس أن يسجد معهم، فامتنع كبراً وحسدا، قال تعالى:"...فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر..."، ثم أقسم على الله بأنه سيضل عباد الله، قال:" فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين". فرد الله تعالى عليه وقال:" إذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزائكم جزاء موفورا" وأمهله الله تعالى إلى يوم القيامة حتى يحصل الافتتان به.
3- ولم ينته العداء في هذه المرحلة عند هذا الحد بل لما أدخل الله تعالى آدم وحواء الجنة نهاهما عن الأكل من الشجرة التي عينها الله لهما، ولكن لم يطب للشيطان أن ينعما في الجنة فجاء ووسوس لهما وقال:"ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فأكلا منا فبدت لهما سؤ آتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة..."
4- ولهذا أخبر الله سبحانه وتعالى أن العداء مع إبليس وجنوده سيستمر إلى يوم القيامة فقال:" قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، فـالله تعالى يبين أن هذا العداء بدأ مع أبينا آدم وسيستمر مع نسله إلى يوم القيامة.
ثم إن الله تعالى خاطبنا خطاباً عاما بأن لا نفتتن بكيد الشيطان ووسوسته وإغوائه وقال تعالى:" يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما

[1] الجن 11
[2] صحيح مسلم.

لباسهما ليريهما سوءآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين..." ويبين الله تعالى لنا أنه عدو ويقول في آية أخرى:"إن الشيطان لكم عدو فاتخذه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير"

<u>كيف يكون عداء الجن للإنس</u>

عداء الجن لإنس إما أن يكون بتأثيرهم على عقائد الناس وإرادتهم وأعمالهم، وإغوائهم لبني آدم ،وهذا هو العداء الروحاني ،وقد يكون العداء بالتأثير على أجسام بني آدم وهو العداء الجسماني:

أولاً :التأثير على عقائد الناس وإراداتهم ،وقصدإغوائهم :

عداوة الشياطين أو الجن للإنس من جهة الإضلال والإغواء تتمثل في عدة أمور:

1- دعوة الإنس إلى عبادتهم، وهذه أعظم أنواع العداوة أي أنهم يوقعونهم في الشرك وذكر الله تعالى هذه العداوة وفصلها في آيات متعددة :

منها قوله تعالى:"وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات"، وقال أيضا:"ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليُنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنة أكثرهم به مؤمنون". وذكر الله تعالى صوراً من عبادة الإنس للجن مثل استعاذة الإنس بهم في قوله تعالى:"وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا" كذلك كان المشركون في الجاهلية يذكرون أسماء الجن على ذبائحهم، ولهذا أمر الله تعالى أن نأكل من الذبيحة التي ذُكر اسم الله عليها، فقال:"فكلوا مما ذُكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذُكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم..."

2- إيقاع العباد في الشرك وإن لم يكن هذا الشرك بعبادتهم :

الشرك من أهم مكايد الشيطان ووسوسته،وأصل الشرك من إغواء الشيطان فقد جاء في صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عته عن النبي عليه الصلاة والسلام قال ذات يوم في خطبته:"ألا إن ربي قد أمرني أن أُعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال وإني خلقت عبادي حنفاء وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال يا محمد إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا وإن الله أمرني أن أُحرق قريشا فقلت ربي إذن يفلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وانفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك وقال أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم كل ذو قلب ومسلم عفيف متعفف ذو عيال، قال وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالاً ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن قل، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا

وهو يخادعك عن أهلك وذكر البخل والكذب......إلى آخر الحديث"[1]

الشاهد من الحديث:

وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم..وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا.

ج_ إذا لم تستطع الجن تكفير بني آدم فتوقعهم في الذنوب التي دون ذلك. وتتدرج بهم من الأكبر إلى الأصغر.

1) الشرك – الشرك بعبادة الجن أو بغيرهم.
2) الوقوع في الذنوب دون الشرك:

- الوقوع في البدع وهي أعظم من الكبائر لأن المبتدع يرتكبها وهو يستحل الحرام.
- الوقوع في الكبائر .
- الوقوع في صغائر الذنوب .
- أن يشغل العبد بالمباح حتى يطغى على حياته.
- أن يشغله بالأعمال المفضولة عن الفاضلة

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا:"إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن رضي بالتحريش بينهم".

أساليب الشيطان في إغواء بني آدم؟

ذكرت في القرآن ليعرفها بنو آدم ويجتنبوها فمنها:

1- تزيين الباطل في نفوس الناس.

2- تسمية الأمور المحرمة بأسماء أخرى مثل:

- تسميةالجهاد إرهاباً
- وتسمية الخمر، مشروباً روحياً.
- وتسمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدخلا ً في الحريات الشخصية .
- وتسميةالربافائدة.

3- الإفراط والتفريط، فالإفراط أن يغلو العبد في الطاعة ، والتفريط أن يفرط العبد في حدود الله ويتهاون في أداء الفرائض.

أساليب الشيطان في إغواء بني آدم؟

ذكرت في القرآن ليعرفها بنو آدم ويجتنبوها فمنها:

1- تزيين الباطل في نفوس الناس.

2- تسمية الأمور المحرمة بأسماء أخرى مثل:

[1] صحيح مسلم في باب الإيمان

- تسمية الجهاد إرهاباً
- وتسمية الخمر، مشروباً روحياً
- وتسمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدخلا ً في الحريات الشخصية.
- وتسمية الربا فائدة.

3- الإفراط والتفريط: فالإفراط مثل أن يغلو العبد في الطاعة ، والتفريط أن يفرط العبد في حدود الله أويتهاون في أداء الفرائض.

4- التسويف وهو أن يؤخر الإنسان العمل على أمل أن يؤديه في وقت لاحق، وهذه كلها من حبائل الشيطان لكي يغري بني آدم، وهي خلاف قول الله تعالى:"وسارعوا إلى مغفرة من ربكم"[1] وقوله أيضاً:"سابقوا إلى مغفرة من ربكم"[2]، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالمسارعة والمسابقة وألا نسوف ولا نتوالى.

5- تخويف المؤمنين أوليائه: وأولياء الشيطان هم الكفرة والفسقة وضُلال بني آدم ف الشيطان يخوف عباد الله المؤمنين بهؤلاء، كما قال سبحانه وتعالى:"إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه"[3]، وقد اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية على قولين:

I) أن المعنى: إنما ذلكم الشيطان يخوف المؤمنين من أوليائه فلا تخافوهم.
II) إنما ذلكم الشيطان يخافه أولياؤه ولا يخافه المؤمنون.

وكلا المعنيين صحيح وتُحمل الآية عليهما معاً، والمقصود من هذه الآية أن الشيطان يُعظم أتباعه وأوليائه في أنفس المؤمنين حتى يخافهم المؤمنون، فلذلك أوصانا الله تعالى بقوله:"فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين"[4] .

وسبب نزول هذه الآية: لما قال أبو سفيان وكان زعيما للمشركين في موقعة أُحد فلقي ركبا متجها من مكة إلى المدينة فقال أبلغوا محمداً أنّا سنعد له العدة العام القادم فلما أتى الركب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخبروهم الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولذلك نزل قوله تعالى:"الذين ق ال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء....إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين"[5] .

6_ إلقاء الشبهات في أنفس المؤمنين، فالشيطان لا يئلو جهدا في أن يلقي الوساوس في نفس المؤمن حتى يشككه في ربه وفي دينه وفي نبيه ويبين ذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله

---

[1] آل عمران 331
[2] الحديد 12
[3] آل عمران 571
[4] آل عمران 571
[5] آل عمران 371-571

ولينته."[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء أناس للنبي عليه الصلاة والسلام فسألوه فقالوا إنّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، فقال النبي: أو قد وجدتموه؟ قالوا نعم فقال ذاك صريح الإيمان[2]. وفي حديث آخر عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال:"الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة" وفي حديث آخر قال :"فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد".

يتبين من هذه الأحاديث أنه ينبغي على العبد إذا قذف الشيطان في نفسه شيئاً من هذه الوساوس أن يعمل ما يلي:

I) أن ينتهي عن الوساوس ويحرص على مجاهدتها ولا يرضى بها ولا يطلبها لنفسه.

II) الاستعاذة.

III) أن يقول الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

IV) أن يعرف المؤمن أن هذه الوساوس تصيب المؤمنين ودليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ذاك صريح الإيمان، بمعنى أن الشيطان لم يستطع أن يجعل هذا العبد يرتكب المحرمات أو يترك الفرائض وإنما جعل كيده في الوسوسة بمعنى أن العبد أصبح قوياً في إيمانه لدرجة أن الشيطان لم يتمكن من إغوائه في جوارحه وإنما رد كيده إلى الوسوسة.

ثانياً:(من أنواع عداوة الشيطان لابن آدم) : التأثير الجسماني على بني آدم:

من أذى الشيطان لبني آدم في أجسامهم ما يلي:

1) إيذاء المولود حين يولد، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال" ليس من مولود إلا يستهل واستهلاله يعصر الشيطان بطنه فيصيح إلا عيسى ابن مريم"

ولهذا يقول أهل العلم إن الصراخ الذي يصرخه الطفل حين ولادته من أسبابه طعنة الشيطان، أما كون مريم وابنها لم يمسهما الشيطان لأنهما أُعيذا منه فأم مريم قالت:"وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسنا"[3].

2) تحزين الشيطان لابن آدم في منامه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين أو ست وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاثة فرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه فإن رأى أحدكم ما يكره

---

[1] متفق عليه.

[2] أخرجه مسلم.

[3] آل عمران 63-73

فليقم فليصل(وفي رواية فليستعذ ثلاثاً من شرها) ولا يحدث بها الناس قال وأحب القيد وأكره الغل والقيد ثبات في الدين" رواه مسلم
وعن أبي سلمة ابن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: إن كنت لأرى الرؤيا تمرضني قال فلقيت أبا قتادة فقال وأنا لكنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم:" الرؤيا الصالحة من الله فإن رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب فلا يحدث بها إلا من يحب وإن رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره " متفق عليه
وعن جابر رضي الله عنه قال، جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله رأيت في المنام أن رأسي ضُرب فتدحرج فاشتددت على أثري فضحك النبي وقال له لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بعد يخطب فقال لا يحدثن أحدكم بتلعب الشيطان به في منامه..."[1]

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

1-أن المنامات التي يراها الإنسان في منامه على ثلاثة أقسام:

- رؤيا خير من الله تعالى.
- حُلم من الشيطان، والأولى ألا نسميه رؤيا.
- حديث النفس.

1- فإذا رأى العبد في منامه رؤيا خير:

ا- فليسأل الله من خيرها ، ب- ولا يحدث بها أي أحد إلا عالماً أو ناصحاً، فقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:" الرؤيا على رجل طائر ما لم تؤول فإذا أولت وقعت على ما أولت عليه ولا تحدثن بها إلا عالماً أو ناصحا"[2].

2- وإذا رأى في منامه ما يكره فهوحُلم من الشيطان ،أي أن الشيطان يقصد من ذلك تحزين المؤمن ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينبغي على العبد أن يقوم به إذا رأى ما يكره:

أ- أن يستعيذ بالله من شرها.
ب- أن ينفث عن يساره ثلاثة.
ج- أن يقوم ويصلي.
د- أن ينقلب إلى الشق الآخر غير الذي كان نائماً عليه.
ه- ألا يحدث بها أحداً.

3- وأما حديث النفس،فهو الشيء يراه الإنسان في يومه فيتمثل له في منامه .

[1] صحيح مسلم
[2] رواه أبو داوود

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب ...."أي أنه إذا كان آخر الزمان وضعف إيمان الناس فيعزز الله إيمانهم بالرؤيا الصالحة. "...ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين أو ستة وأربعين جزءا من النبوة" أي أن فترة الرؤيا الصالحة التي كان يراها هي ستة أشهر ،وهي جزء من ستة وأربعين جزء من مدة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم البالغة ثلاثة وعشر ين سنة ، تقول عائشة رضي الله عنها:" أول ما بدأ به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ..."[1]

والخلاصة هي أن الشيطان يريد أن يحزن المؤمنين في مناماتهم فيريهم الرؤى المكروهه حتى يدخل في قلوبهم الفزع.

- تنبيه: إن الشيطان لا يتمثل في صورة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين أنه قال:" من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي" ومعناه أن الذي يرى النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه المدون في كتب السيرة فقد رآه حقيقة، لكن هل يعتبر ما يخبره النبي به تشريعا؟ فنقول كلا لأنه ليست من مصادر التشريع الإسلامي الرؤى، وما يخبره النبي في المنام لذلك العبد يكون قاصراً عليه وحده .

ثالثاً: أن الشيطان يصيب بني آدم بالأمراض

يدل على ذلك قول الله تعالى على لسان أيوب :"رب إني مسني الشيطان بنصب وعذاب".

وفي مسند الإمام أحمد بسند صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال:"الطاعون من وخز الجن".

رابعاً: تخبط الشيطان للإنسان عند الموت

الشيطان يؤذي ابن آدم عند قبض روحه، فيصيبه بما يُعرف بالتخبط، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ فيقول:"وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت"[2]

خامساً: الصرع

الصرع بمعنى دخول الجن بالإنسي أو ما يُسمى بالمس وهو : اختلال يُصيب الإنسان في عقله بحيث لا يعي الإنسان ما يقول فلا يستطيع أن يربط بين ما قاله وما سيقوله ويصاحب ذلك اختلال في حركات المصروع. والصرع على نوعين، وهذان النوعان باعتبار سببه:

- صرع عضوي: ويكون لاختلال في التركيبات العضوية عند المصروع.
- صرع نفسي ،يكون سببه تسلط الأرواح الخبيثة (الجن والشياطين) على ابن

[1] صحيح البخاري
[2] ثبت في مسند الإمام أحمد

آدم.
وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكلا النوعين من الصرع النفسي والعضوي.
أما بالنسبة للصرع العضوي فلا إشكال فيه فيعرفه أهل الطب والكلام هنا في الصرع النفسي فنقول: إن مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات الصرع النفسي.
يقول شيخ الإسلام: دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة. انتهى كلامه.

الأدلة من القرآن والسنة على ثبوت الصرع

1) من القرآن قوله تعالى:"الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا..."[1] وجه الدلالة هو أن الله تعالى شبه حال قيام آكلي الربا من قبورهم يوم القيامة كحال المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ومُحالٌ أن يشبه الله أحد ً من خلقه بشيء مستحيل أو لايتصور وقوعه .
2) من السنة :ما روى أحمد عن يعلى بن مرة قال لقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ما رآها أحد قبلي ولا يراها أحد بعدي لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة قال ناولينيه فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل ثم فغر فاه فنفث فيه ثلاثا وقال بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله ثم ناولها إياه فقال القينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا ما فعل قال فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث فقال ما فعل صبيك فقالت والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئا حتى الساعة فاجترر هذه الغنم قال انزل فخذ منها واحدة ورد البقية قال وخرجت ذات يوم إلى الجبانة حتى إذا برزنا قال انظر ويحك هل ترى من شيء يواريني قلت ما أرى شيئا يواريك إلا شجرة ما أراها تواريك قال فما بقربها قلت شجرة مثلها أو قريب منها قال فاذهب إليهما فقل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما أن تجتمعا بإذن الله قال فاجتمعتا فبرز لحاجته ثم رجع فقال اذهب إليهما فقل لهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى مكانها فرجعت قال وكنت عنده جالسا ذات يوم إذ جاءه جمل يخبب حتى صوب بجرانه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال ويحك انظر لمن هذا الجمل إن له لشأنا قال فخرجت ألتمس صاحبه فوجدته لرجل من الأ نصار فدعوته إليه فقال ما شأن جملك هذا فقال وما شأنه قال لا أدري والله ما شأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فأتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه قال فلا تفعل هبه لي أو بعنيه فقال بل هو لك يا رسول الله قال فوسمه بسمة الصدقة ثم بعث به.
الشاهد قوله صلى الله عليه وسلم: إخسأ عدو الله أنا رسول الله.

[1] البقرة 572

3) من السنة أيضاً، ما روى عطاء بن أبي رباح قال قال لي ابن عباس ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت بلى قال هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم قالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك قالت أصبر قالت فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها.متفق عليه

4) المشاهدة: فقد توارت الوقائع في القديم والحديث على وقوع الصرع بين الناس وأن الجن يؤذون بني آدم عن طريق الدخول في أجسامهم وتواتر عن جمع من علماء المسلمين أنهم كانوا يقرؤون على المصروع ويخرجون الجان منه، وقد نقل عن الإمام أحمد أنه كان يقرأ على المصروع وكذلك ابن تيمية وروي عن جمع من السلف منهم سفيان والنخعي وغيرهم، بل إن من الأطباء النفسيين غير المسلمين من أثبت الصرع النفسي.

فهذا أحد المؤلفين ينقل عن كارنكنتون عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية، قوله: إن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها ما دامت توجد حقائق كثيرة مثيرة ومدهشة تؤيدها وما دام الأمر كذلك، فإنها أصبحت لازمة وواجبة لا من الوجهة الأكادمية فقط، بل لأن مئاتاً من الناس وألوفاً يعانون من ذلك، ولأن شفائهم يستلزم العلاج الفوري وإذا ما نحن قررنا مكنة المس من الوجهة العلمية انفتح أمامنا مجالٌ فسيح للبحث والتقصي ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الطبي الحديث والتفكير السيكولوجي.

وخالف في إثبات الصرع النفسي المعتزلة وبعض الأشاعرة منهم القفال، واستندوا في ذلك على بعض الشبه منها:

I- قوله تعالى على لسان الشيطان:"وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي"[1] فقالوا إن غاية ما يستطيعه الشيطان من بني آدم أن يغويه فقط.

II- دليل عقلي، قالوا: لو قدر الشيطان على ذلك لصح أن يفعل مثل معجزات الأ نبياء.

III- دليل عقلي أيضاً، قالوا لو أن الشيطان قادر على ذلك فلم لا يصرع جميع المؤمنين.

الرد عليهم:

الرد على الشبهة الأولى:

أن المراد من نفي السلطان في الآية هو الإجبار على فعل المعاصي.

الرد على الشبهة الثانية:

أن نقول : إن المعجزة أمرٌ خارق للعادة يجريه الله على يد نبي من أنبيائه تأييداً له

[1] إبراهيم 22

وحجة على قومه، أما أفعال الشيطان ومسه لابن آدم فليس من خوارق العادات، ولا يستطيع الشيطان أن يأتي بمعجزة ولكنه يتصرف بالقدرة التي أعطاه الله إياها.

الرد على الشبهة الثالثة:

إن الله سبحانه وتعالى قد حما عباده المؤمنين من أن يصيبهم الشيطان في أي أذى يصيبهم، فالله سبحانه وتعالى يقول:"إن عبادي ليس لك عليهم سلطان"[1] .

أسباب الصرع

الصرع له أسباب متعددة ذكرها أهل العلم فمنها:

1) ضعف النفس الإنسانية فتكون نفس الإنسان ضعيفة وقابلة لدخول الوسواس والشكوك والأنفس الشريرة إليها.
2) قلة الإيمان والبعد عن ذكر الله، يقول ابن القيم: أكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهلها تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصينات النبوية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه.
3) أن يكون الصرع على سبيل البغض والمجازاة، بأن يؤذي ابن آدم الجني عن علم أو عن غير علم، فيجازيه الجني أو الشيطان بإيذائه والدخول فيه.
4) العشق والشهوة، بأن يعشق جني إنسية أو العكس.
5) العبث فقد يقصد الشيطان من الصرع العبث بابن آدم.

وهذه أهم أسباب الصرع ولا يلزم أن يكون الصرع من ضعف الإيمان لأن الصرع قد يصيب من هو مؤمن وصالح مثل المرأة التي بشرها النبي بأنها من أهل الجنة.

كيفية علاج الصرع

يعالج الصرع :

1-بالرقى والأذكار الشرعية .

2- وكذلك من العلاج، أن يُضرب المصروع لإخراج الجني من الإنسان، ويقول أهل العلم إن هذا الضرب لا يُعتبر اعتداءً إنما هو على سبيل دفع الظلم، كقوله تعالى:"فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"[2]

سادساً: قتل الجن لبعض الإنس :

وهذا ثابت في السنة في قصة أبي سعيد الخدري عندما روى قصة الصحابي الذي ضرب الحية فمات وقد تقدمت القصة.

سابعاً: أن يؤذي الشيطان ابن آدم عن طريق السحر.

يقول ابن قدامة: السحر عقدٌ ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له وله حقيقة فمنه ما يقتل ومنه ما يمرض ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطئها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه

---

[1] الحجر 24
[2] البقرة 491

وما يُبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنيين.
وهو ثابت في القرآن وفي السنة، أما القرآن ففي آيات كثيرة يبين الله سبحانه وتعالى فيها وقوع السحر فمن ذلك:

1) قول الله تعالى:"واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين.."[1]، الشاهد في قوله: يعلمون الناس السحر. فكانت الشياطين تمشي بين الناس وتعلمهم السحر.
2) قوله تعالى في قصة موسى:"وجاءُوا بسحر عظيم"[2] وفي آية أخرى:" يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى"[3] فبين الله تعالى أن ما أتى به هؤلاء السحرة هو سحر حقيقي ووصفه الله بأنه عظيم.
3) قوله تعالى:"قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن ثر النفاثات في العقد..."[4] النفاثات هن النساء السواحر.

والأدلة من السنة:
ما ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال:"اجتنبوا السبع الموبقات" وذكر منها السحر.
وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال في أي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رءوس نخلها رءوس الشياطين قلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا ".
والشاهد أنه صلى الله عليه وسلم أُصيب بالسحر، وقال أهل العلم إن سحره كان من أشد أنواع السحر لأنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يظن أنه أتى أهله ولم يفعل. وسحر النبي صلى الله عليه وسلم ثابت وهذا لا يتناقض مع عصمة النبي أو مع نبوته فهو معصوم من أن يخطأ في الوحي والتشريع.
طرق تحضير الساحر للجني:

---
[1] البقرة 201
[2] الأعراف 611
[3] طه 66
[4] الفلق 1-4

الساحر يحضر الجان في سحره ليؤذي بهم ابن آدم، ومن طرق تحضير الجان التي ذكرها من لهم خبرة في ذلك مثل الدكتور وحيد عبد السلام بالي :

- الاقسام بالجني.
- الذبح للجني.
- الطريقة السفلية، وهي أن يطلب الجني من الساحر أن يكتب آيات الله في حذاء ويُلبسه لكي يكفر بالله.
- طريقة النجاسة مثل أن يطلب منه أن يكتب آيات الله بدم الحيض.

ويقول إن من العلامات التي يعرف بها الساحر ما يلي:-

1) أن يسأل المريض عن اسمه واسم أمه.
2) أن يطلب الساحر أن يأخذ أثراً من آثار المريض مثل شعره وأظفاره أو ملابسه.
3) أن يطلب حيواناً ليذبحه.
4) كتابة الطلاسم.
5) أن يعطي المريض أشياء ليدفنها بيده.
6) أن يعطي الساحر المريض أوراقاً ليحرقها بيده.

حكم السحر

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الساحر كافر مطلقاً أيّاً كان سحره، ويُقتل ردة.

وأدلتهم:

1- قوله تعالى:"وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يُعلمون الناس السحر "، فبين الله سبب كفرهم أنهم يعلمون الناس السحر.
2- ما روى جندب بن عبد الله أنه صلى الله عليه وسلم قال:" حد الساحر ضربة بـ السيف"[1]
3- ما روى بجالة بن عبدة رضي الله عنه قال كتب عمر رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال فقتلنا ثلاث سواحر.
4- ما رُوي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها أمرت بجارية لها سحرتها فأمرت بها فقُتلت.[2]

قال أهل العلم، ثبت عن ثلاثة من الصحابة رضوان الله عليهم قتل الساحر من غير استفصال ويُقتل حداً.

القول الثاني وهو رأي الإمام الشافعي رحمه الله، أن السحر إن كان بأشياء كفرية مثل أن يتقرب الساحر إلى الجني بالذبح أو المشي على القرآن أو نحو ذلك فهذا كفر، أما إذا لم يكن بأشياء كفرية مثل أن يكون بأدوية ونحو ذلك فهذا لا يكفر،وعلى هذا فإن الساحر إنما يقتل قصاصاً وذلك فيما إذا قتل بسحره أحداً ،فأما إذا لم يقتل أحداً فلا

[1] رواه الترمذي بإسناد قال فيه ابن حجر : ضعيف ولكنه ثبت موقوفاً عن جندب رضي الله عنه.
[2] في صحيح البخاري.

يقتل .
واستدل لذلك:
بأن الأصل في الساحر البراءة من الكفر والبراءة من القتل فلا يحكم بكفره ولا يُقتل إ لا إذا ثبت أنه ارتكب مكفراً أو قتل مسلماً. فالشافعي لم يثبت عنده دليل بتكفير الساحر.
الراجح والله أعلم: قول الجمهور، أن الساحر كافر مطلقاً لأنه لا يُتصور أن يفعل الساحر ما يفعل إلا بالتقرب إلى الشياطين. والآية السابقة صريحة في كفره.
<u>حكم حل السحر عن المسحور</u>
حل السحر عند أهل العلم يُسمى النُشرة وهي على نوعين:

- حل السحر بسحر مثله فهذا محرم ولا يجوز لما ثبت في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داوود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"النُشرة من عمل الشيطان"

  وقال الحسن البصري:لا يحل السحر إلا ساحر.
  وهذا النوع من النشرة محرم.

- حل السحر بالرقية والتعويذات والدعوات المباحة مثل أن يذهب المسحور إلى رجل ليقرأ عليه أو يدعو له فهذا حكمه جائز وقد جاء عن قتادة قال: قلت لسعيد ابن المسيب ، رجل فيه طب أو يُؤخذ عن امرأته أيُحل عنه أو يُنشر؟ قال لا بأس إنما يُريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم يُنه عنه.

وسائل الوقاية من كيدالشيطان وأذاه
أولا ً:الاعتصام بالكتاب والسنة:
فالاعتصام بالقرآن هو النجاة من كيد الشيطان فعن عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل قال يزيد متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.
كما أن المحافظة على حدود الله تغيظ الشيطان فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية أبي كريب يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بـ السجود فأبيت فلي النار رواه مسلم
ثانياً:الاستعاذة بـالله منه:
لقوله تعالى:"وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بـالله من الشيطان الرجيم......"
وقوله "وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين"
والاستعاذة مشروعة كذلك في عدة مواضع:

1- عند دخول الخلاء .
2- وعند الغضب.
3- وعند الجماع.
4- وعند قراءة القرآن."فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم"
5- وفي الصباح والمساء ،مثل الدعاء المأثور "اللهم عالم الغيب والشهادة....."، وفي الحديث الصحيح عن أبي عياش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كان له عدل رقبة من ولد إسمعيل وكتب له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح .
6- وعند وسوسة الشيطان ,وقد تقدمت الأدلة على ذلك. وفي صحيح مسلم أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني .

رابعاً :الاشتغال بذكر الله.

خامساً:التوبة والاستغفار:

لقوله تعالى :"إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون"

سادساً:المسارعةإلى الخيرات:

وهذا لايتعارض مع قوله صلى الله عليه وسلم:" التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان" رواه البيهقي بإسناد حسن ،لأنه إما أن يقال العجلة مذمومة مطلقاً و المسارعة مطلوبة ، أو يقال إن العجلة المذمومة :ما كانت في غير طاعة الله .

سابعاً: الرقى المشروعة:

الأدلة على مشروعية الرقية:

1- عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى قال فعرضوها عليه فقال ما أرى بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه .رواه مسلم

2- وعن جابر بن عبد الله قال رخص النبي صلى الله عليه وسلم لآل حزم في رقية الحية وقال لأسماء بنت عميس ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة قالت لا ولكن العين تسرع إليهم قال ارقيهم قالت فعرضت عليه فقال ارقيهم . رواه مسلم

3-عن أبي سعيد رضي الله عنه قال انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن

يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء فقال بعضهم نعم والله إني لأرقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة قال فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له فقال وما يدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهما فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .متفق عليه

4- عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرها أن تسترقي من العين رواه مسلم

5- عن عوف بن مالك الأشجعي قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك رواه مسلم

شروط جواز الرقى:

1- أن تكون بكلام الله وبأسمائه وصفاته أو بما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم .
2- أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.
3- أن يعتقد بأن الرقية لاتؤثر بذاتها.

هل الاسترقاء يقدح في التوكل :

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول:

أنه يقدح في التوكل ، وهذا رأي أحمد وابن تيمية والنووي والقاضي عياض وابن القيم.

استدلوا بما يلي:

1- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال لا رقية إلا من عين أو حمة فذكرته لسعيد بن جبير فقال حدثنا ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد حتى رفع لي سواد عظيم قلت ما هذا أمتي هذه قيل بل هذا موسى وقومه قيل انظر إلى الأفق فإذا سواد يملأ الأفق ثم قيل لي انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق قيل هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب ثم دخل ولم يبين لهم فأفاض القوم وقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا ولدنا في الجاهلية فبلغ

النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فقال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن أمنهم أنا يا رسول الله قال نعم فقام آخر فقال أمنهم أنا قال سبقك بها عكاشة.متفق عليه

2- عن المغيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل .رواه أحمد وابن ماجه

3- قال ابن تيمية:ولأن المسترقي يسأل غيره ويرجو نفعه وتمام التوكل ينافي ذلك.

القول الثاني:

أن الاسترقاء لايقدح في التوكل،وهذا رأي الطبري والمازري وابن عبد البر والقرطبي و الداوودي.

استدلوا بما يلي:

1-الأدلة المتقدمة على مشروعية الرقى.

2- ما جاء في الأخبار من الاستشفاء برقاه ،وبرقية جبريل له وبرقيته لنفسه ولصحابته،وإقراره لهم فلو كان ذلك يقدح في التوكل لقدح في توكله صلى الله عليه وسلم وتوكل صحابته.

أجاب أصحاب القول الأول عن هذين الدليلين:

بأن المكروه والمنافي لتمام التوكل هو الاسترقاء أي طلب الرقية أما رقية الإنسان لغيره أو لنفسه فهذا من بذل المعروف وهو لاينافي التوكل.

رد أصحاب القول الثاني من وجهين:

الأول:أنه جاء في رواية مسلم لحديث عمران المتقدم:"هم الذين لايرقون ولا يسترقون"

فعلى هذا لافرق بين الرقية والاسترقاء.

الثاني:أن في بعض أدلة القول الثاني الأمر بالاسترقاء ،ومن ذلك:

3-حديث عائشة المتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرها أن تسترقي من العين رواه مسلم

4 - عن جابر بن عبد الله قال رخص النبي صلى الله عليه وسلم لآل حزم في رقية الحية وقال لأسماء بنت عميس ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة قالت لا ولكن العين تسرع إليهم قال ارقيهم قالت فعرضت عليه فقال ارقيهم .رواه مسلم

5- ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتداوي وحث عليه ، فلم يكن قادحاً في التوكل مع أن الإنسان يسال غيره ، فلأن تكون الرقية غير منافية للتوكل من باب أولى،لأن الرقى بأسماء الله هو غاية التوكل.

والقول الثاني هو الأرجح والله أعلم وأما أدلة أصحاب القول الأول فهي محمولة

على الرقى الشركية ،فهي التي تقدح في التوكل سواء كان الانسان راقياً أو مسترقيا،يدل على ذلك حديث عوف بن مالك الأشجعي المتقدم قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا بأس بـ الرقى ما لم يكن فيه شرك رواه مسلم،وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم :"إن الرقى والتمائم والتولة شرك" .

كيفية الرقى:

وردت عدة كيفيات للرقى نوجزها فيما يلي:

أولاً :النفث والتفل في الرقية:

النفث:نفخ يسير مع ريق يسير وهو أقل من التفل ،والتفل شبيه بالبزاق وهو أقل منه.

ومما يدل على هاتين الكيفيتين:

1- حديث أبي قتادة المتقدم في الرؤى.
2- حديث أبي سعيد في قصة اللديغ وفيه فجعل يتفل ويقرأ بالحمد لله رب العالمين.
3- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم عنه . متفق عليه

وهل النفث يكون قبل القراءة أو بعدها أو معها؟

الذي يفهم من مجموع النصوص الواردة هو جواز ذلك كله.

ثانياً:الرقية بدون نفث:

يدل على ذلك ما يلي:

1- عن عبد العزيز قال دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت يا أبا حمزة اشتكيت فقال أنس ألا أرقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال اللهم رب الناس مذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما .متفق عليه
2- عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت كان إذا اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقاه جبريل قال باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين.متفق عليه

ثالثاً:خلط بعض التراب مع الريق:

يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بإصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى به سقيمنا بإذن ربنا .متفق عليه

رابعاً:مسح الجسد باليد:
يدل على ذلك:

1- حديث عائشة المتقدم في رقيتها للنبي.
2- عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر . أخرجه مسلم
3- عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما فلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى قالت فذهبت أنظر فإذا هو قد قضى . متفق عليه

خامساً:الرقية بالماء ثم شربه أو الاغتسال به:
يدل على ذلك ما يلي :

1- عن علي رضي الله عنه قال: لدغت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو يصلي فلما فرغ قال :"لعن الله الغقرب لاتدع مصلياً ولا غيره ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ:"قل ياأيها الكافرون و المعوذات" رواه الطبراني وحسنه الهيثمي وصححه الألباني.
2- عن ثابت بن قيس بن شماس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على ثابت بن قيس وهو مريض فقال اكشف البأس رب الناس عن ثابت بن قيس بن شماس ثم أخذ ترابا من بطحان(أحد أودية المدينة) فجعله في قدح ثم نفث عليه بماء وصبه عليه قال أبو داود قال ابن السرح يوسف بن محمد وهو الصواب. رواه أبو داود وصححه الألباني.
3- وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا ترى بأساً أن يعوذ في الملء ثم يصب على المريض.
4- وفي كتب وهب بن منبه: أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسوا منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به ،فإنه يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله. أخرجه عبدا لرزاق ، قال الشيخ ابن باز رحمه الله:وهذه الطريقة مجربة وهي مفيدة.

سابعاً: كتابة بعض الآيات ثم محوها بالماء ثم شربها أو غسل البدن بها:
وممن نقل عنه جواز ذلك: ابن عباس ومجاهد وأبو قلابة وأحمد والقاضي عياض وابن تيميه وابن القيم ،فعن ابن عباس قال:إذا عسر على المرأة ولدها فيكتب هاتين ا

لآيتين والكلمات في صفحة ثم تغسل فتسقى منها : بسم الله لا إله إلا هو الحليم الكريم سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم " كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها "" كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بـ لاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون" رواه ابن أبي شيبة.

مسألة :التمائم وحكمها:

تعريف التمائم:

هي الخرز التي تتخذ عوذا.

حكمها:

تعليق التمائم من الشرك لما فيه من اللجوء إلى غير الله ،والأدلة على ذلك ما يلي:

1 - عن زينب امرأة عبد الله قالت كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح و بزق كراهية أن يهجم منا على شيء يكرهه قالت وإنه جاء ذات يوم فتنحنح قالت وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطا قال ما هذا الخيط قالت قلت خيط أرقي لي فيه قالت فأخذه فقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرقى والتمائم والتوله شرك قالت فقلت له لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها وكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما .رواه أحمد وأبو داود

2-عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له.رواه أحمد

3-عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره قال عبد الله حسبت أنه قال والناس في مبيتهم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت . متفق غليه

4 عن رويفع بن ثابت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رويفع لعل الحياة ستطول بك بعدي فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا بريء منه. رواه النسائي وأ بو داود

5-عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر على عضد رجل حلقة أراه قال من صفر فقال ويحك ما هذه قال من الواهنة قال أما إنها لا تزيدك إلا وهنا انبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا . رواه أحمد

أنوع التمائم:

التمائم على نوعين:
النوع الأول : تمائم متفق على تحريم تعليقها :
وهي التمائم المجهولة ، أو التي فيها طلاسم أو كلام شركي ،أو تكون من خرزات لا شيء فيها حقيقة، أو تكون من نعل أو صور أو مجسمات ونحو ذلك.
النوع الثاني:تمائم مختلف في حكم تعليقها:
وهي التمائم التي من القرآن أو من الأدعية النبوية،فقداختلف العلماء فيها على قولين:
القول الأول: ذهب إلى تحريم تعليقها كل من :ابن مسعود ،وابن عباس ،وحذيفة وعقبة بن عامر والنخعي وأحمد.
القول الثاني:وذهب إلى جوازها: عائشة وعبد الله بن عمرو وابن المسيب وابن سيرين وعطاء ومالك وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ،فعن عبد الله بن عمرو قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع بسم الله أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون قال فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ومن كان منهم صغيرا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه رواه أحمد.
وعامة أصحاب هذا القول على أن التعليق الجائز هو ما كان بعد نزول البلاء أما ما كان قبله فليس بجائز.
والراجح هو القول الأول لما يلي:
1- عموم النهي الوارد في تحريم التمائم.
2- لو كان هذا العمل مشروعاً لبينه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته.
3- ولما في تعليقها من الامتهان لها حيث قد يدخل بها الإنسان إلى الأماكن النجسة ،وقد يتعذر المحافظة عليها لاسيما إذا علقت على صبي.

وأما أثر عبد الله بن عمرو فهو ضعيف وأما ما روي عن عائشة فهو مخالف للنص وقد خالفها غيرها من الصحابة .

الركن السادس من أركان الإيمان:الإيمان بالقدر
قبل الدخول في هذا الموضوع نذكر بعض النصوص الواردة في النهي عن الخوض في القدر،لنستبصر منها أولا ً مدى مشروعية الحديث عن القدر.
ما ورد من النهي عن الكلام في القدر:
الحديث الأول: عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا"[1]
الحديث الثاني:عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، ثم قال: عزمت عليكم ألا

[1] رواه الطبراني وصححه الألباني وورد من رواية حديث ابن مسعود.

تتنازعوا فيه[1]
مواقف العلماء من هذه الأحاديث:
اختلف العلماء في الأخذ بها على ثلاثة أقوال:
القول الأول: الأخذ بظاهرها وهو المنع من الخوض أو التكلم في القدر مطلقاً.
القول الثاني:رد هذه الأحاديث والحكم عليها بالضعف.
القول الثالث:توجيه هذه الأحاديث بمعنى تصحيحها والأخذ بها لكن تُوجه على محامل بغير ما يتبادر منها، وأن يُقال إن النهي عن الخوض في القدر محمول على الخوض فيه بالباطل ومُحاولة معرفة وجه الحق عن طريق العقل القاصر. وهذا القول هو الصحيح ويؤيده أمران:
الأمر الأول: أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وكيف يُطلب من العبد أن يؤمن بشيء ثم يُنهى عن تعلمه.
الأمر الثاني: ذكر الصحابة في هذه الأحاديث كقوله عليه الصلاة والسلام:"إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا"، فهل يُنهى العبد من ذكر الصحابة أو ذكر فضائلهم! إنما نُهي عن ذكر الصحابة على وجه السب والخوض فيهم الباطل وكذلك نُهي عن الكلام في القدر إذا كان على وجه الخوض فيه بالباطل .
وقد ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم قالوا: القدر هو سر الله في خلقه.
وهذا لا يعني المنع من تعلمه والكلام فيه على وجه الحق وإنما مرادهم أنه سر في الجانب الخفي منه لأن القدر منه ما هو ظاهر لنا ومنه ما هو خفي، وهو كونه سبحانه أضل وهدى ومنع وأعطى وأمات وأحيا.
فالأحاديث الواردة في النهي عن الكلام في القدر هي صحيحة، لكنها محمولة على التنازع أو الخوض فيه بالباطل.
وبناءً على ما تقدم فإننا نشرع في الحديث عن القدر فنقول:-
تعريف القضاء لغة :
إن أهل العلم عادة يقرنون كلمة القدر بكلمة القضاء
فالقضاء لغةً بمعنى إحكام الشيء وإتمام الأمر ويُطلق القضاء في اللغة على عدة معان منها:

1- الأمر: ومنه قوله تعالى:"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه"[2] أي أمر أن لا تعبدوا إلا إياه.
2- الأداء والإنهاء مثل قوله تعالى:" وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين"[3] .

[1] رواه الترمذي وأبو داوود.
[2] الإسراء 32.
[3] الحجر 66.

3- الحكم ومنه قوله تعالى:"فاقض ما أنت قاض إنما تقضي الحياة الدنيا"[1]
4- الفراغ ومنه قوله تعالى:"فقضاهنّ سبع سماوات"[2] وقوله أيضاً:"فلما قضى موسى الأجل"[3].
5- الأداء بمعنى الإتمام ومنه قوله تعالى:"فإذا قضيتم مناسككم"[4] أي أديتموها، وأيضا قوله تعالى:"فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض"[5].
6- الإعلام ومنه قوله تعالى:"وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأ رض مرتين ولتعلن علواً كبيرا"[6]
7- الموت ومنه قوله تعالى:"....فوكزه موسى فقضى عليه...."[7]

تعريف القدر لغةً:

القدر لغة:مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، ويطلق في اللغة على عدة معان منها:-

1- الطاقة مثل قوله تعالى:"على الموسع قدره وعلى المقتر قدره"[8].
2- التضييق ومنه قوله تعالى:"وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه"[9]
3- التقدير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عن رؤية هلال رمضان:"...إن غم عليكم فاقدروا له" أي احسبوا له.

ومنه يتضح أن القدر والقضاء كلاهما إذا أُطلق بمفرده يكون بمعنى الآخر فهما مترادفان في المعنى.

القضاء والقدر شرعاً

هو تقدير الله للأشياء في القدم وعلمه أنها ستقع وكتابته لذلك ومشيئته لها ووقوعها على حسب ما قدره لها وخلقه لها.

أو نقول هو علم الله بما سيكون وكتابته لذلك ومشيئته له وخلقه إياه.

ما الفرق بين القضاء والقدر شرعاً؟

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

القول الأول: لا فرق بينهما، فالقدر هو القضاء والقضاء هو القدر.

القول الثاني: التفرقة بينهما، وأصحاب هذا القول اختلفوا في الفرق بين القضاء و القدر على ثلاثة أقوال:

1) القضاء هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال والقدر هو الحكم بوقوع الجزئيات على سبيل التفصيل.

---

[1] طه 27.
[2] فصلت 21.
[3] القصص 92.
[4] البقرة 002.
[5] الجمعة 01.
[6] الإسراء 4.
[7] القصص 51.
[8] البقرة 632.
[9] الفجر 61.

2) أن القدر بمعنى التقدير والقضاء بمعنى التفصيل والتقطيع.
3) القضاء هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه.
والراجح القول الأول وهو عدم التفرقة.
مسألة مهمة:الفرق بين القضاء الكوني والقضاء الشرعي:
القضاء يرد في القرآن الكريم بمعنيين فقد يكون قضاء شرعي أو قضاء كوني:-
القضاء الكوني: بمعنى ما يقدره الله في الكون وهذ القضاء :
1- قد يكون محبوباً لله وقد لا يكون .
2- ولا بد أن يقع لأنه متعلق بمشيئة الله وقدرته فإذا شاءه الله وقع .
ومن أمثلة هذا القضاء :خلق الجنة والرسل ، وإبليس والنار. ومنه قوله تعالى:"فقضاهن سبع سماوات" فهنا القضاء كوني.
القضاء الشرعي: بمعنى الأمر وهو يخالف القضاء الكون من جهتين:
1- فهولا يكون إلا فيما يحبه الله مثل أمره بالصلاة وبر الوالدين.
2- وهو لايلزم وقوعه فقد يقع وقد لا يقع مثل أن يأمر الله بالشيء ولا يمتثله العباد فقد أمر بالصلاة ومع ذلك لايمتثل كل العباد؟
ومن هذا القضاء قوله تعالى:"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه".
وكالقضاء في التنويع السابق كلمات أخرى تأتي في القرآن قد تكون كونية وقد تكون شرعية ولها نفس الأحكام السابقة، مثل الإرادة والحكم والأمر فكل منها قد يكون كوناً بمعنى المشيئة وقد يكون شرعياً.

الأدلة من القرآن ومن السنة على القدر

أولا ً:الأدلة العامة من القرآن الكريم على القدر:
جاءت آيات متعددة في القرآن بإثبات القدر خيره وشره، فمن ذلك:
1) قوله تعالى:"إنا كل شيء خلقناه بقدر"[1].
2) قوله تعالى:"سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدورا"[2]
3) قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام:"فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى"[3]
4) قوله تعالى:"فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون"[4]

ثانياً:الأدلة العامة من السنة

1) حديث جبريل المتقدم.
2) ما رواه الترمذي عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لا

[1] القمر 94.
[2] الأحزاب 83.
[3] طه 04.
[4] المرسلات 22_32

يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ،وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه"

ب_ الأدلة التفصيلية التي تدل على كل مرحلة من مراحل التقدير :

إذ إن مراتب الإيمان بالقدر أربعة :

المرتبة الأولى: العلم، وهي الإيمان بعلم الله السابق وهو أن الله سبحانه وتعالى قد علم بجميع الأشياء قبل وقوعها فهو سبحانه يعلم ما كان وما سيكون ومالم يكن لو كان كيف يكون، والدليل على هذا قوله تعالى:"... ولو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه..."[1]

والأدلة من القرآن ومن السنة على هذه المرتبة ما يلي:

أولا ً: من القرآن :

1) قوله تعالى"وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو"[2] وبين النبي صلى الله عليه وسلم ما هي مفاتح الغيب وهي خمسة: علم الساعة، والغيث، وما تخفي الأرحام، وكسب العيش والموت وهي في آخر سورة لقمان.
2) قوله تعالى:"هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمان الرحيم"[3] والشاهد قوله عالم الغيب والشهادة، فسرها أهل العلم بأنها السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة وقيل الموجود والمعدوم والصحيح أن الآية تشمل كل ذلك.
3) قوله تعالى:"لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما"[4]
4) قوله تعالى:"إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما"[5]

ثانياً:من السنة:

1- عن عمران بن حصين قال قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار قال نعم قال فلم يعمل العاملون قال كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له متفق عليه

2- عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة و النار قالوا يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى إلى قوله فسنيسره للعسرى . رواه مسلم

المرتبة الثانية: الكتابة، ومعناها أن تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قد كتب كل شيء قبل خلقه

الأدلة على مرتبة الكتابة:

---

[1] الأنعام 82.
[2] الأنعام 95.
[3] الحشر 22.
[4] الطلاق 21.
[5] طه 89.

1) قول الله تعالى:" ما فرطنا في الكتاب من شيء"[1]
وقد اختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل المراد بالكتاب أي اللوح المحفوظ وقيل المراد بالكتاب القرآن والصحيح أن الآية شاملة لكليهما.

2) قوله تعالى:"ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"[2]
الزبور أي اللوح المحفوظ. والزبور في اللغة أي الشيء المجموع.

3) قوله تعالى:" لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم"[3]

4) قول الله تعالى:"ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماوات والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير"[4] وهذا أصرح دليل على الكتابة.
وقد ذكر أهل العلم أن التقدير على أربعة أنواع :-

-1 التقدير الأزلي :الأول وذلك بكتابة مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.
والأدلة على هذا التقدير ما يلي :

-1 قوله تعالى :"الم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب"

-1 عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء رواه مسلم

-2 وعن علي رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتب شقية أو سعيدة فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة قال أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الآية متفق عليه

-3 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة .رواه أبوداود

---
[1] الأنعام 83.
[2] الأنبياء 501.
[3] الأنفال 86.
[4] الحج 07.

ب- التقدير العمري : وهذا يختص بكل إنسان فيكتب عمله حين ينفخ فيه الروح وهو جنين في بطن أمه ، وهذه الكتابة لا تختلف عن ما كُتب في اللوح المحفوظ إنما تؤخذ من الكتابة الأزلية وتُكتب لكل عبد على حده، فعن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة متفق عليه

ج - التقدير الحولي: وهذا يكون في ليلة القدر من كل سنة، فيكتب الله تعالى في ليلة القدر كل ما هو واقع في العام المقبل ، كما قال تعالى عن هذه الليلة:"فيها يفرق كل أمر حكيم"

د - التقدير اليومي : فكل يوم يقدر الله تعالى لعباده أمورا متعددة فيعطي ويمنع ويحيي ويميت ويبسط ويضيق إلى آخره ، كما قال تعالى :"كل يوم هو في شأن " فعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويخفض آخرين ابن ماجه

المرتبة الثالثة: المشيئة :

وأدلتها:

أولا ً من القرأن:

- قوله تعالى:"ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة"[1]
- وقوله أيضا:"قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وتنسون ما تشركون"[2]
- "ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين"[3]
- "ستجدني إن شاء الله صابرا"[4]

ثانياً:من السنة:

- قال صلى الله عليه وسلم:"اشفعوا تؤجروا ويقض الله على لسان نبيه ما يشاء"
- أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على علي وفاطمة وهما نائمان فقال: ألا تصليان، فقالا: إنما أنفسنا بيد الله فإن شاء بعثنا بعثنا فخرج عليه الصلاة والسلام وهو يقول : وكان الإنسان أكثر شيء جدلا" فأنكر عليهما احتجاجهما بالقدر على

[1] المائدة 48.
[2] هود 33.
[3] يوسف 99.
[4] الكهف 69.

ترك الطاعة ، ولم ينكر إثباتهما المشيئة لله .

- قوله صلى اللّه عليه والسلام:"إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمان يقلبهما كيف يشاء"
- قوله صلى اللّه عليه والسلام:" لا يقل أحدكم اللّهم اغفر لي إن شئت...."

المرتبة الأخيرة وهي مرتبة الخلق

وأدلتها هامة لأن هناك الكثير ممن ينازع فيها من الأمة الإسلامية:

فمن الأدلة :

أولاً : الأدلة من القرآن :

1) قول اللّه تعالى:"واللّه خلقكم وما تعملون"[1] اختلف المفسرون في (ما) هل هي موصولية أم مصدرية.

- فإن قيل : مصدرية فيكون التقدير: خلقكم وعملكم.
- وإن قلنا موصولية أي خلقكم والأشياء التي عملتموها. والراجح أنها مصدرية.

2) قوله تعالى:" اللّه خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل"[2] فالشاهد قوله خالق كل شيء، فخلق العباد وخلق أفعالهم وكل ما يحدث في الكون.
3) قوله تعالى:"ذلكم اللّه ربكم خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل" [3]
4) قوله تعالى:" واعلموا أن فيكم رسول اللّه لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن اللّه حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق و العصيان"[4] والشاهد في قوله حبب أي أن اللّه هو الذي حبب ذلك فهو فعل اللّه وخلقه وليس من العبد نفسه.

ثانياً:الأدلة من السنة:

- عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم استووا حتى أثني على ربي فصاروا خلفه صفوفا فقال اللّهم لك الحمد كله اللّهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لما أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت اللّهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللّهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللّهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأ من يوم الخوف اللّهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت اللّهم حبب إلينا ا لإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللّه م توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين اللّهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللّهم

---

[1] الصافات 69.
[2] الزمر 26.
[3] الأنعام 201.
[4] الحجرات

قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق . رواه أحمد

- وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم:"اللهم آت نفسي تقواها زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها" فالتزكية تأتي من الله الخالق.
- ما جاء في الصحيح أن النبي قال لأبي موسى الأشعري: يا عبد الله ابن قيس الا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لاحول ولا قوة إلا بالله...."والشاهد قوله لا حول ولا قوة إلا بالله، أي لا يمكن أن يتحول من حال إلى حال إلا بمشيئة الله.

فائدة: معنى لا ينفع ذا الجد منك الجد: أي الحريص لا ينفعه حرصه إذا لم يكن الله سبحانه وتعالى قد قدره وكتبه له.

القضاء والقدر في الأديان والنحل السابقة للإسلام

أولا ً:الملل والنحل التي جاءت الإشارة إلى عقيدتهم في القدر في القرآن أو في السنة:

نقول أولا ً أن جميع الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى يؤمنون بالقدر ويدل على ذلك آيات متعددة تبين كيف كان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يدعون قومهم إلى الإيمان بالقدر مثل قوله تعالى على لسان نوح:" قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين"[1] ومنه أيضاً في قصة إبراهيم مع إسماعيل:"قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك....قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين"[2] وقول يوسف :" قال ادخلوا مصر إن شاء الله من الآمنين"

أقوال الملل السابقة للإسلام في غير ما ذكر في القرآن أوالسنة:

1) الفلاسفة: كانوا يعتقدون أن الله فاعل العالم وصانعه ويقولون إن الله يعلم الأشياء كلها بنوع كلي لا يدخل تحت الزمان ولا يعلم الجزئيات التي توجب تجدد الإحاطة بها تغيرا في ذات العالم.
2) المجوس: وهم من أشهر الملل الذين أنكروا القدر فقد قالوا إن الإنسان محدث لأفعاله بدون قدرة الله.
3) الصابئة: الذين كانوا في حران والذين قال الله تعالى عنهم:"إن الذين آمنوا و الذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر"، ويقولون بالجبر أي أن العبد مجبر على أفعاله.
4) الدهرية: الذين جعلوا الدهر هو المبدأ الأساسي وهو عين القدر فقالوا أن الذي يحدث الأفعال في الكون هو الدهر" وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر"[3]
5) اليهود: وانقسموا في الإيمان بالقدر إلى فرقتين، فرقة الربانيين ويُسمون بـ الفريسين أيضاً أي المعتزلين وسماهم بذلك أعدائهم لأنهم منشقون ومعتزلون

---

[1] هود 33
[2] الصافات 201.
[3] الجاثية 42.

عن الناس. ومن أبرز ما تعتقده هذه الفرقة أن التوراة بأسفارها الخمسة خُلقت منذ الأزل ثم أُوحي بها إلى موسى ويؤمنون باليوم الآخر والملائكة ولا يعتبرون التوراة هي المصدر الوحيد للتشريع بل يجعلون معها وصايا الحاخامات "التلمود" ، وهؤلاء عقيدتهم نفي القدر.
والفرقة الثانية: القراؤون وهؤلاء يؤمنون بالتوراة كمصدر للتشريع وحده من دون التلمود وعقيدتهم في القدر الجبر أي أن العبد مجبر على أفعاله.

6) النصارى وهم على فرقتين: الشرقيون وهم أتباع يعقوب البرادعي وهم يسمون الآن بالأرثوذوكس ويقولون بالجبر، والكاثوليك وهم على الضد.

7) مشركو العرب،عامتهم يؤمن بالقدر كما قال الله فيهم:"سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا"[1] فاحتجوا بالقدر على شركهم، ولكن منهم من ينفي القدر، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته   ومن يسلم يعمر فيهرم

نشأة القول بالقدر في الإسلام
وإذا قلنا القول بالقدر فالمقصود به القول بنفي القدر.
أولا ً: ما ورد من الأحاديث قي التحذير من القدرية :
أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أنه سيكون من أمته من ينكر القدر ولذلك حدّر من هذه الطائفة :
ففي سنن أبي داود أنه صلى الله عليه وسلم قال:"القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تحضروهم"[2].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقه في وجنتيه الرمان، فقال:" أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه" أي أمرتكم.
فالنبي يحذر أمته من الخوض في هذه المسألة العظيمة، ولذلك غضب عندما تنازع فيها أصحابه وقد توجس أنه سيكون إنشقاق وتنازع في أمته في القدر ولذلك سمى القدرية مجوس الأمة والقدرية المراد بهم الذين ينكرون القدر لأنهم نسبوا القدر إلى أنفسهم ولم ينسبوه إلى الله.
فهذه أول إشارة في الإسلام إلى وجود الانشقاق والاختلاف في مسألة القدر أشار إليها النبي عليه الصلاة والسلام، لكن على عهد النبي لم يظهر أحد من المسلمين يُخالف في أمر القدر لأنهم كانوا يتلقون العلم منه صلى الله عليه وسلم وكان الناس

[1] الأنعام 841.
[2] هذا الحديث وإن كان إسناده ضعيفاً إلا أنه روي من طرق متعددة يرتقي بها إلى درجة الحسن، ولهذا حسنه جمع من أهل العلم منهم ابن القيم، وابن حجر والشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله.

أمة واحدة. لكن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ظهر القول بالقدر، فقد نشأت القدرية الأولى على عهد كبار الصحابة رضوان الله عليهم.
القدرية الأولى: هم الذين أنكروا جميع مراتب القدر ويُسمون الغلاة، فهم ينكرون العلم والكتابة والمشيئة والخلق، فقالوا إن الله لا يعلم ما سيكون ولم يكتب ما سيكون ومن باب أولى أنهم أنكروا المشيئة والخلق وقالوا إن الله لم يشأ ما فعله العباد ولم يخلق أفعالهم. لكن هؤلاء اندثروا ولم يبق منهم أحد فيما ذكره أهل العلم وإنما الذي بقي هم القدرية المتأخرون وهم الذين ينكرون العلم والكتابة ويثبتون المشيئة و الخلق.
القول بالقدر على عهد الصحابة رضوان الله عليهم:
كان موقف الصحابة بالنسبة لعقيدة القضاء والقدر هو التسليم والإيمان به على الوجه الحق ، كما بينه لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن سجلت على عهدهم بعض الوقائع حول القدر على وجه الاستشكال لا على وجه الاعتراض ، كما سجلت وقائع تدل على ظهور بذرة القول بالقدر على عهدهم ، فمن ذلك :
1- ما روى أبو الأسود الديلي قال قال لي عمران بن الحصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها رواه مسلم
2- عن ابن الديلمي قال أتيت أبي بن كعب فقلت له وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي قال لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار قال ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك قال ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك رواه أبوداود
أول من قال بنفي القدر:
أول من قال بنفي القدر شخص يُدعى معبد الجهني، ظهر بالبصرة وبدأ يدعو إلى مذهبه بنفي القدر، وقيل إن أول من قال بنفي القدر، غيلان الدمشقي والأرجح أنه

معبد الجهني (بالبصرة) وظهر بعده غيلان الدمشقي وكان (بالشام).
فقد جاء في صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر قال كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمرلو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني أبي عمر وذكر حديث جبريل المشهور .
رواه مسلم
فهذه القصة التي وقعت بين يحيى ابن يعمر وحميد بن عبد الحمن الحميري مع عبد الله ابن عمر رضي الله عنه، تدل على أن بدعة نفي القدر ظهرت على عهد الصحابة رضوان الله عليهم، ولذلك تصدى لها الصحابة من أمثال عبد الله ابن عمر وأبي ابن كعب وزيد ابن ثابت وعبد الله ابن مسعود وغيرهم.
وكانت تلك البداية على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي، لكن هذه البداية ما لبثت أن استفحلت وانتشرت في الأمة الإسلامية بعد أن تبنى القول بالقدر فرقة مشهورة من الفرق الإسلامية هي فرقة المعتزلة، لذلك ذهب كثير من الباحثين إلى أن بدعة القول بالقدر ظهرت مع المذهب الاعتزالي الذي أسسه واصل بن عطاء[1] وقالوا إن معبد أظهر البدعة ولم تنتشر إلا بظهور المذهب الاعتزالي.
لماذا يسمى من أنكر القدر بالقدرية؟
ولماذا سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة؟
يقول ابن قتيبة: إن القدرية هم الذين نفوا القدر وسُموا بالقدرية لأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم وغيرهم يجعلونه لله دون نفسه، ومدعي الشيء لنفسه أحرى بأن يُنسب إلى ذلك الشيء ممن جعله لغيره.
وهذه أول بدعة في القدر ظهرت في الإسلام (القدرية) وعكسها بدعة الجبر.

بدعة الجبرية

وهم أتباع الجهم ابن صفوان، والذين يُسمون الجهمية وقد تبنوا القول بالجبر في باب القدر وتبنوا القول بالتعطيل في باب الأسماء والصفات. فهم يتفقون مع المعتزلة في

[1] كان واصل ابن عطاء من تلاميذ الحسن البصري وقد جاءه رجل يسأله عن مرتكب الكبيرة: هل هو مسلم أم كافر؟ فقال الحسن البصري أنه مسلم، فقال واصل ابن عطاء: أنا لا أقول أنه مسلم ولا كافر إنما هو في منزلة بين المنزلتين، فلما قال ذلك اعتزل مجلس الحسن البصري وجلس في مجلس آخر يقرر هذه المسألة، فقال الحسن البصري: لقد اعتزلنا واصل ابن عطاء، فسُموا بالمعتزلة، وهم يفتخرون بهذا التسمية لأنهم يقولون أن الاعتزال يرد في القرآن الكريم بمعنى اعتزال الشر مثل قوله تعالى:"وأعتزلكم وما تدعون من دون الله".
لكن نقول أن الاعتزال قد يكون خيرا وقد يكون شراً فالاعتزال عن مواطن الخير يكون شراً والاعتزال عن جماعة المسلمين يُعتبر شذوذاً وشراً ونهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

تعطيل الله من صفاته لكن في باب القدر الجهمية هم على النقيض تماماً من المعتزلة الذين ينفون القدر. فالجهمية يثبتون القدر بغلوّ ويقولون أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل ولا يُنسب إلى المخلوق أي فعل ونسبة الأفعال إلى المخلوق إنما هو مجازي وإنما هو كالورقة التي طارت في الريح.

أقوال الفرق المنسوبة إلى القبلة في باب القدر

أبرز الانحرافات الواقعة في باب القدر ثلاثة:

1- قول القدرية.
2- قول الجبرية.
3- قول الأشاعرة والماتريدية.

وقبل أن نذكر أقوال كل فرقة وأدلتهم في باب القدر نذكر عدة مسائل ينبني عليها الخلاف في مسألة القدر.

المسألة الأولى: تعليل أفعال الله، فهل أفعال الله معللة أم لا؟ مسألة بحثها المتقدمون ويتطرق إليها دائماً الأصوليون.

اختلف الناس على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن الله سبحانه وتعالى خلق المخلوقات وأمر المأمورات لا لعلة ولا لداع ولا لباعث، بل أنه فعل ذلك بمحض المشيئة وصرف الإرادة، وهذا قول الأشاعرة وقول كثير من أهل السنة. وقولهم غير معللة أي يفعل سبحانه وتعالى ما يشاء ولا يُسأل عن ذلك.

القول الثاني: إن الله سبحانه وتعالى فعل المفعولات وخلق المخلوقات لحكمة ولكن هذه الحكمة لا ترجع إلى فعله وإنما لأمر آخر أي أن الحكمة ليست في الفعل نفسه فمثلاً يقولون : إن الله تعالى خلق إبليس لحكمة أُخرى وليس لمقتضى المشيئة والإرادة فقط، ويقولون أن هذه الحكمة تُدرك بالعقل ، وهذا هو قول المعتزلة.

القول الثالث: أن الله تعالى يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها هو، وهو يُعلم العباد أو بعضهم من حكمته مما يُطلعه عليهم وقد لا يعلمون ذلك، وهذا قول عامة أهل السنة، الإمام مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد، وقولهم هذا قريب من قول المعتزلة ولكنهم يُخالفونهم في كونها تُدرك بالعقل ، فأصحاب هذا القول يقولون : إن من الحكم ما لايدركه العقل

المسألة الثانية: التحسين والتقبيح العقلي، هل العقل يُدرك حسن الأشياء وقبحها دون الشرع؟

اختلف الناس على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول الأشاعرة وكثير من أهل السنة، يقولون : العقل لا يدل على حسن الشيء أو قبحه وإنما يُعرف الحسن والقبح من موارد الشرع، فالحسَن ما أمر الله به والقبيح ما نهى الله عنه ولا حكم للعقل فهو لايحسن ولا يقبح ، وقالوا جميع شرائع الله هي من قبيل الامتحان للعباد أي أنه قال هذا مذموم فاجتنبوه وإن

لم يدرك العقل قبحه وهذا محمود فأتوه وإن لم يدرك العقل حسنه.
القول الثاني: وهو قول المعتزلة، قالوا الحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء، ف الحاكم بالحسن والقبح هو العقل، وأما الشرع فإنما فهو كاشف ومبين.
القول الثالث: وهو قول وسط وأخذ به عامة أهل السنة وهو التفصيل:
فقالوا : لا نُطلق القول بالتحسين والتقبيح العقلي ولا ننفيه، فنقول: إن عامة الشرائع تكون مشتملة على مصلحة أو مفسدة يُدركها العقل ولو لم يرد الشرع بذلك كالعدل و الظلم، وقولهم هذا قريب من قول المعتزلة ولكن يُخالفون المعتزلة في أمرين:
الأمر الأول: أن العقل وإن كان يُدرك الحُسن والقبْح إلا أنه لا يُرتب الثواب والعقاب ولكن الثواب والعقاب يُعرف من الشرع. بينما المعتزلة يقولون ما كان حسناً عقلاً فهو مثابٌ عليه وما كان قبيحاً عقلاً فهو معاقبٌ عليه.
الأمر الثاني: بعض الشرائع (التشريعات والأحكام الخاصة) لا يُدرك العقل حسنها أو قبحها، وبناءً على ذلك لا يستقل العقل لوحده بإدراك الحسن والقبح ولا بد من إشراك الشرع معه. ولذلك احتج أصحاب القول الثالث على المعتزلة بقصة ذبح إبراهيم لابنه، فهل هذا الفعل مذموم أم محمود؟ نقول هو حسن لما فيه من امتثال أمر الله ولكن في ظاهر العقل هو أمر مذموم ، فهذا يبين أن العقل لايستقل وحده بإدراك الحسن و القبح كما تقوله المعتزلة .
المسألة الثالثة: وجوب فعل الأصلح على الله، هل يجب على الله فعل الأصلح لعباده؟
اختلف الناس في هذه المسألة على قولين:
القول الأول: وهو قول أهل السنة والأشاعرة أنه لا يجب على الله فعل الأصلح، لكن فعل الله يتضمن المصلحة للعباد. فالله تعالى بنفسه قضى أن يفعل ما فيه مصلحة للعباد، كما قال تعالى:"كتب على نفسه الرحمة"[1] أي أن هذه الكتابة تفضلاً منه وإحسانا.
القول الثاني: وهو قول المعتزلة وهو أنه يجب على الله فعل الأصلح للعباد ولو لم يفعل ذلك لكان ظلماً لهم.
وقد وقعت مناظرة بين أبي الحسن الأشعري وعمرو بن عبيد أحد رؤوس المعتزلة في هذه
المسألة ، فقد نقل أن أباالحسن قال له: لو أن ثلاثة أحدهم عُمر وأطاع الله والثاني عُمر وعصى الله والثالث مات صغيرا!
فأراد أبو الحسن أن يحتج على عمرو فقال لو احتج الصغير على الله تعالى فقال إنك لم تُعمرني مثل الذي عُمر فلم تفعل بي الأصلح، فأجاب عمرو بن عبيد أن الله سيقول له إنك لو عُمرت لعصيت الله فكان الأصلح لك أن تموت وأنت صغير، قال والذي عُمر وعصى الله وهو كبير فمن الممكن أن يحتج على الله ويقول لم لم تفعل الأصلح بي فلم تمتني وأنا صغير! فبُهت عمرو بن عبيد وقيل إن هذا هو السبب الذي جعل أبا

[1] الأنعام 21.

الحسن الاشعري يترك المذهب الاعتزالي وينتقل لمذهب أهل السنة وألف كتاب (الإ بانة في أصول الديانة).
والراجح القول الأول في هذه المسألة.
المسألة الرابعة وهي أهم مسألة مرتبطة بباب القدر وهي: حقيقة الظلم والعدل، فما هو تعريف الظلم؟ وما حقيقة الظلم الذي ينزه الله عنه ؟
اختلف الناس على ثلاثة أقوال:
القول الأول: وقال به الجهمية والأشاعرة وكثير من أهل السنة، أن الظلم ما اشتمل على أحد أمرين:

1- التصرف في ملك الغير.
2- مخالفة الآمر الذي تجب طاعته.

وبناءً عليه، فالظلم من الله غير ممكن إطلاقاً، لأنه محال لذاته أي أن الله سبحانه وتعالى لم يمنع نفسه عن الظلم وإنما هو أصلا ً ممتنع عن الله، لماذا؟ قالوا لأن كل ما سوى الله ملكه وليس فوق الله تعالى آمر تجب طاعته.
أدلتهم:

1- قوله تعالى:"لا يُسال عما يفعل وهم يُسألون"[1].
2- وحديث عمران ابن حُصين السابق.

والشاهد من الحديث قوله : إن الله لو عذب أهل السماوات والأرض عذبهم وهو غير ظالم لهم.
القول الثاني: وهو قول المعتزلة، قالوا كل ضرر لا نفع فيه وليس بدفع ضرر فهو ظلم، وبناءً عليه فالظلم الذي حرمه الله وتنزه عن فعله هو نظير الظلم من الآدميين وهو كل ما فيه إضرار بالآخرين من غير منفعة وشبهوا أفعال الله حسنها وقبيحها بأفعال عباده، ولهذا يُسمى المعتزلة بمشبهة الأفعال لأنهم قالوا الشيء الحسن من أفعال المخلوقين هو حسن بالنسبة لله ، والقبيح الذي ينزه الله عنه كالذي ينزه عنه المخلوق .
القول الثالث:وقال به عامة أهل السنة وهو أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه لغةً وشرعاً، والله سبحانه وتعالى حكم عدل يضع الأشياء في مواضعها ولا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين مختلفين ولا يحمل المرء سيئات خلقه ولا يُعذبه على ما لم تكسب يداه ولا ينقص من حسناته ولا يزيد من سيئاته، وإن الله قادرٌ على الظلم ولكنه امتنع منه تفضلا ً منه ورحمة ولذلك استحق الحمد عليه.
ولهذا يقول الله تعالى في الحديث القدسي:" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما". وهذا فيه رد على قول الأشاعرة وعلى قول المعتزلة.
الخلاصة:

[1] الأنبياء 32.

المعتزلة يقولون: الظلم محرم وجوباً عقلا ً.
الأشاعرة يقولون: الظلم ممتنع على الله.
أهل السنة: الله قادر على الظلم وتركه تفضلا ً.
وبناء عليه قال الجهمية: إن الظلم هو الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة وكل ممكن فهو عدل، وبناءً عليه قالوا بمسألة الجبر.
والمعتزلة قالوا: ما كان من أفعال بني آدم قبيحا وظلما فإنه يكون ظلماً في حقه تعالى، وعليه قالوا، لو كان الله خالقا لأفعال العباد التي هي ظلم لكان ظالماً.
وشبهتهم : قالوا : لو قلنا أن الله هو الذي خلق فعل العبد ، فظلم العبد، فهل يصح نسبة الفعل إلى الله تعالى؟ هم يقولون يلزم من هذا أن يُنسب هذا الفعل إلى الله تعالى لأنه هو خالق هذا الفعل.
الرد على هذه الشبهة:
رد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال :إن هناك فرقاً بين الله وخلقه كما أن هناك فرقاً بين فعله وبين ما هو مفعول مخلوق له، فليس في مخلوقه ما هو ظلم منه وإن كان بالنسبة لفاعله (الإنسان) ظلم، وكما أن أفعال الإنسان هي بالنسبة إليه تكون سرقة والله تعالى خالقها بمشيئته وليست بالنسبة إليه كذلك، وإنما هي مفعولة لله ، كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به لا للخالق الذي خلقها كالألوان و الطعوم والروائح.
ووجه كلامه رحمه الله :أن المعتزلة :1- لا يخالفون بأن الله خالق العبد2-ولا يخالفون بأن الله خلق صفاته 3-ولكن يخالفون بأن الله خلق أفعال العبد، فيقولون أن أفعال العباد خلقها العبد نفسه، ولماذا يقولون هذا وينفون أفعال العباد عن الله!
قالوا : لأنه لو وقع ظلم من فعل العبد فهذا سيُنسب إلى الله فلو قتل العبد فسيُنسب الفعل إلى الله لأنه خالقه ، فقالوا، تنزيهاً لله عن ذلك فإن أفعال العباد من أنفسهم وليست مخلوقة لله. والرد عليهم أن يقال :إنكم أقررتم بأن صفات العبد من الطول و القصر والذكاء والغباء والحسن والقبح مخلوقة لله ومع ذلك فهي لاتنسب إليه وإنما تنسب إلى من قامت به وهو العبد فكذلك أفعال العباد هي مخلوقة لله ولا تنسب إليه وإنما إلى من قامت به وهو العبد.
المسألة الخامسة والأخيرة: الإرادة، هل تستلزم الرضا والمحبة أي إذا أراد الله شيئاً فهل يعني ذلك أنه يحبه ويرضاه؟
اختلف الناس على قولين:
<u>القول الأول</u>: أن الإرادة تستلزم الرضا والمحبة، وهذا قول المعتزلة والجهمية وأغلب ا لأشاعرة.
<u>القول الثاني</u>: قول أهل السنة أن الإرادة لا تستلزم المحبة والرضا. بمعنى أن الله سبحانه وتعالى قد يريد ما يحبه وقد يريد ما لا يحبه، مثال: أراد الله خلق إبليس فخلقه وأراد خلق الكفار فخلقهم وهو لا يحبهم ، وأراد الله خلق المؤمنين فخلقهم

وهو يحبهم
والجهمية وامعتزلة وإن اتفقوا في أصل قولهم إلا أنهم اختلفوا في أثر ذلك ، فالجهمية لما قالوا إن الإرادة تستلزم المحبة والرضا أي كل ما خلقه اللّه في الكون مراد له فهو محبوب له ومرضيٌ عنه ومن ذلك أفعال العباد.
أماالمعتزلة فقالوا إن في الكون أشياء لا يُحبها اللّه فهو لم يردها وبنوا على ذلك أن أفعال العباد لم يردها اللّه لأن من أفعال العباد ما ليس محبوب للعباد ولو قلنا أنه أرادها للزم من ذلك أنه يحبها ففي ذلك تناقض، فمن هنا نشأ القول بأن العبد يخلق أفعاله بنفسه.
كيف أجاب الجهمية والجبرية لما وُرد عليهم قول اللّه تعالى:"واللّه لا يحب الفساد"[1]، " ولا يرضى لعباده الكفر"[2]، فالكفر والفساد موجودان في الكون وهما غير محبوبان لله؟
أجابوا عن ذلك بجوابين:
<u>الأول</u>: قالوا إن الآيتين خاصتان بمن لم يقع منه الكفر ومن لم يقع منه الفساد أي لا يُحب الفساد من عباده المؤمنين ولا يُحب الكفر من عباده المؤمنين.
<u>الثاني</u>: قالوا إنه لا يحبه ديناً مع كونه يحبه ويريده وجوداً.
توضيح قول أهل السنة :
قال أهل السنة: إن من مراد اللّه ما يكون محبوبا مرضياً له ومنه ما لا يكون كذلك، لأن إرادة اللّه عند أهل السنة على قسمين:

1- كونية قد تكون محبوبة لله وقد تكون غير محبوبة.
2- شرعية محبوبة لله.

قالوا وبهذا تجتمع الأدلة مثل قوله تعالى:"من يشأ اللّه يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم"[3] فهل الضلال محبوب لله؟ كلا، فهو شاء شيئاً مبغوضاً له فهو شائه كوناً وهو يبغضه شرعاً. وكذلك هناك آيات كثيرة يبين اللّه تعالى أنه هناك أشياء لا يحبها وقد شاءها كوناً.
خلاصة الأقوال في المسائل المتقدمة:

1- مسألة تعليل أفعال اللّه، القول الراجح فيها أن أفعال اللّه معللة ولكن لعلة يعلمها اللّه وقد يُطلع عليها العباد وقد لا يُطلعهم عليها، وهذا قول أهل السنة. أما المعتزلة فقالوا أنها معللة وهذه العلة يدركها العقل حتماً، أماالأشاعرة فقالوا أن اللّه تعالى يفعل الشيء لا لعلة وإنمالمجرد المشيئة المحضة والإرادة الصرفة.
2- مسألة التحسين والتقبيح، وفيها ثلاثة أقوال: قول المعتزلة أن العقل يدرك الحسن والقبح وقول الأشاعرة أن الحسن والقبح إنما يأتي من الشرع والعقل لا

---
[1] البقرة 502.
[2] الزمر 7.
[3] الأنعام 93.

يُحسن ولا يُقبح ، وقول أهل السنة قريب من قول المعتزلة فقالوا : العقل يدرك الحسن والقبح، لكن خالفوا المعتزلة في أمرين: في ترتب الثواب والعقاب، وفي أن بعض الأحكام الخاصة لا يدركها العقل وبناءً عليه فإن العقل لا يستقل بإدراك التحسين والتقبيح العقلي وهذا القول هو الصحيح.

3- مسألة فعل الأصلح على الله وفيها قولان، قول المعتزلة أنه يجب فعل الأصلح على الله عقلا ً، قول الأشاعرة وجمهور أهل السنة أنه لا يجب على الله تعالى وإنما أفعال الله تعالى فيها مصلحة للعباد على سبيل العموم.

4- مسألة تعريف الظلم الذي ينزه الله عنه ، فالجهمية يقولون أن الظلم يكون في أحد أمرين: أن يتصرف في ملك غيره أو أن يُخالف أمر الآمر وقالوا أن كل ممكن في الكون هو عدل بالنسبة لله تعالى فلو عذب الطائعين وأثاب العاصين فهو عدل لأنه تصرف في ملك الله، والقول الثاني للمعتزلة الذين عرفوا الظلم بـ النسبة لله كالظلم بالنسبة للآدميين ولذلك سموا بمشبهة الأفعال ، والقول الثالث هو قول أهل السنة وعرفوا الظلم بأنه وضع الشيء في غير موضعه بألا يحمل المرء سيئات خلقه ولا يُعذبه على ما لم تكسب يداه ولا ينقص من حسناته ولا يزيد من سيئاته وقالوا أن الله قادر على الظلم ولكن امتنع عنه تفضلا ً منه ورحمة.

5- مسألة الإرادة، هل تستلزم المحبة والرضا، وفيها قولان: الجهمية والمعتزلة أن ا لإرادة تستلزم المحبة، فهم اتفقوا في أصل المسألة واختلفوا في النتيجة وبناءً عليه، فالجهمية قالوا أن كل ما في الكون محبوب لله حتى عصيان العاصين لأ ن الله أراده والإرادة تستلزم المحبة. والمعتزلة قالوا: إن في الكون أشياء لا يُحبها الله فبنوا على ذلك أن أفعال العباد لم يردها الله لأن من أفعال العباد ما ليس محبوب للعباد. وقول أهل السنة أن الإرادة لا تستلزم المحبة، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى قد يريد ما يحبه وقد يريد ما لا يحبه.

<u>أقوال الفرق أو طوائف المسلمين في القدر</u>

القول الأول: الجبرية وقال به أتباع الجهم بن صفوان وهم الجهمية، إن العباد مجبورون على أفعالهم لا قدرة لهم ولا إرادة ولا اختيار، والله وحده خالق أفعالهم، وأعمالهم إنما تنسب إليهم مجازاً، كما تقول زالت الشمس ودارت الرحى، فالشمس و الرحى ليس لهم إرادة، ويقولون صلى المصلي وزنى الزاني وسرق السارق وكل هذه ا لأعمال تنسب إلى العبد مجازاً والفاعل هو الله ، والعبد ليس له إرادة أو اختيار في ذلك تعالى الله علواً عما يقولون.

القول الثاني: إن أفعال العباد ليست مخلوقة لله وإنما العباد هم الخالقون لها وقال بهذا القول المعتزلة والقدرية وكثير من العقلانيين المعاصرين، فهم أنكروا مرتبتي المشيئة والخلق (خلق أفعال العباد)، ولهذا ألف الإمام البخاري كتاباً سماه (خلق أفعال العباد).

القول الثالث: قول الأشاعرة والماتريدية ، وهؤلاء كلهم يقولون : إن الله تعالى خالق أفعال العباد ، وهم بهذا الأصل خالفوا المعتزلة القائلين بأن الله لايخلق أفعال العباد ، ولكنهم في الجانب الثاني من قضية خلق أفعال العباد وهو جانب تعلق أفعال العباد بهم ، وهل هم الفاعلون لها ؟ فإنهم يقولون إن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها وليس لقدرتهم تأثير فيها بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد الفعل مقارناً لقدرة العبد ، فالفعل يوجد عند قدرة العبد (أي مقارناً لها) وليس بقدرة العبد ، فقدرة العبد ليس لها أي تأثير في الفعل ، وإنما يوجد الفعل عندها .

فأفعال العباد عند الأشاعرة والماتريدية كلها مخلوقة لله وهي كسب العباد أي أن الفعل مخلوق لله إبداعاً وإحداثاً ومكسوباً للعبد ، والمراد بكسبه إياه :مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه مجلا ً له .

ويضرب بعضهم للكسب مثلا ً:في الحجر الكبير قد يعجز الرجل عن حمله ويقدر آخر على حمله منفرداً، إذا اجتمعا جميعاً على حمله كان حصول الحمل بأقواهما ، ولا خرج بذلك أضعفهما من كونه حاملا ً ، كذلك العبد لايقدر على الانفراد بفعله ، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه ووجد مقدوره فوجوده في الحقيقة بقدرة الله تعالى ولايخرج بذلك المكتسب عن كونه فاعلا ً .

وكسب الأشعري هذا لغموضه هو الذي قيل فيه : ثلاثة لاحقيقة لها ، ومنها كسب الأشعري ، وقد دار حوله نقاش طويل ولم ينته الأشاعرة فيه إلى قول مستقيم

<u>شُبه الفرق والرد عليها</u>

<u>أولا ً:شبه الجبرية:</u>

1- عموم الآيات التي تدل على أن الله خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد مثل قوله تعالى:"الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل"[1] وقوله أيضاً:"ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون"[2].

2- الآيات التي تثبت المشيئة لله وحده، مثل قوله تعالى:"وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة"[3] فقالوا إن الله نفى المشيئة عن العباد وأثبت المشيئة لله وحده، ومثل قوله تعالى:"وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين"[4] ومثله قوله تعالى:"كذلك يُضل الله من يشاء ويهدي من يشاء"[5].

3- الآيات التي تدل على أن الله ختم على القلوب فلا يصل إليها الإيمان، مثل قوله تعالى:"إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم

[1] الزمر 26.
[2] غافر 26.
[3] القصص 86.
[4] التكوير 92.
[5] المدثر 13.

الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة..."[1] ومثله قوله تعالى:"إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا"[2].

4- الآيات التي تنسب الأفعال إلى الله تعالى مثال قوله تعالى:"وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"[3] ووجه الدلالة من هذه الآية – قالوا-:إن معنى الآية إن الفعل ليس منك إنما الفعل من الله ومثله قوله تعالى:"إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌ من عند الله"[4]

ثانياً :شبه القدرية:

الخلاف بين أهل السنة والقدرية (المعتزلة) في الحقيقة هو خلاف منهجي فهم يعتمدون على العقل في استدلالهم وإن خالف الشرع بخلاف أهل السنة ، ولهذا كان مستندهم في نفي القدر على الأدلة العقلية.

أدلتهم العقلية:

1- قالوا إن هناك فرقاً بين الأمور الاختيارية والأمور الاضطرارية، إذ نحن نفصل بين المحسن والمسيء وبين حسن الوجه وقبحه، فنحمد المحسن على إحسانه ونذم المسيء على إساءته، ولا تجوز هذه الطريقة في حسن الوجه وقبحه قالوا فلولا أن أحدهما متعلق بنا والآخر غير متعلق بنا لما فصلنا بينهما. (لأنهم ينكرون خلق الله لأفعال العباد).

2- قالوا لأن في أفعال العباد ما هو ظلمٌ وجور فلو كانت مخلوقة لله لصح نسبتها إليه، والله منزه عن ذلك.

أدلتهم النقلية:

1- الآيات التي تثبت المشيئة للعباد:

- مثل قوله تعالى:"وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"[5].
- وقوله أيضاً:"قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا"[6]
- وقوله أيضاً:"نذيراً للبشر، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر"[7]

2- الآيات التي تبين أن العباد هم الذين يؤمنون ويكفرون، مثل:

- قوله تعالى:" كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم...."[8] والشاهد في قوله تكفرون، فنسب الكفر إلى العباد.

[1] البقرة 7.
[2] الكهف 75.
[3] الأنفال 71.
[4] النساء 87.
[5] الكهف 92.
[6] الفرقان 75.
[7] المدثر 63-73.
[8] البقرة 82.

- وقوله تعالى:"وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى.."[1]
- وقوله تعالى:"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم"[2]

3- الآيات التي تدل على أن الجزاء بالأعمال، مثل:

- قوله تعالى:"..جزاءً بما كانوا يعملون"[3]
- وقوله تعالى:"ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون"[4]

4-الآيات التي فيها اعتراف الأنبياء بذنوبهم، مثل:

- قول الله تعالى على لسان آدم وحواء:"قالا ربنا ظلمنا أنفسنا"[5] أي جعلوا الظلم منسوباً إليهم.
- وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام :"رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له.."[6]

شبه الفرقة الثالثة وهم الأشاعرة والماتريدية:

ليس لهم أدلة وإنما حجة عقلية، أرادوا أن يجمعوا بين النصوص بطريقة الكسب فهم جمعوا بين قول القدرية والجبرية وإن كانوا في الحقيقة قولهم قريب من قول الجبرية فأدلتهم كأدلتهم تماماً إلا أنهم أثبتوا للعبد قدرة لكن قالوا إن هذه القدرة لا تأثير لها.

مناقشة هذه الأدلة

أولا ً نؤكد مسألة وهي أن منهج أهل السنة هو المنهج الوسط الذي يجمع بين النصوص فلا يأخذ بنصوص ويُلغي نصوصاً أخرى، على خلاف الفرق الأخرى الذين يأخذون بالأدلة التي توافق قولهم ويغفلون الأدلة التي تعارض قولهم، فواضح أن استدلالاتهم فيها خلل، وعلى المستدل أو الذي يريد أن يؤصل قاعدة أو مسألة لا بد أن يعتبر ويأخذ بجميع النصوص وإلا كان قوله باطلا ً.

الرد الإجمالي: نقول أن هذه الاستدلالات المتقدمة فيها خلل واضح لأنها أخذت بجزء من النصوص وتركت جزءً آخر.

وكل دليل من أدلة الجبرية والقدرية هو في الحقيقة دليل لمذهب أهل السنة وردٌ على المذهب الآخر الباطل.

الرد التفصيلي:

الرد على أدلة الجبرية:

- الآيات التي تدل على أن الله خالق كل شيء، نقول أنها آيات حق ولا تناقض فيها ولكن من أين يُفهم من هذه الآيات أن العبد لا يكون قادراً مريداً له مشيئة واختيار ؟ فهذه الآيات ليس فيها نفي المشيئة عن العبد، فالجبرية استدلوا بهذه الآيات

---

[1] الإسراء 49.
[2] النساء 56.
[3] السجدة 71.
[4] التوبة 59.
[5] الأعراف 32.
[6] القصص 61.

على أمرين:
الأول : إثبات أن أفعال العباد مخلوقة (وهذا فيه رد على القدرية)
والثاني :نفي المشيئة والاختيار عن العباد (وهذا فيه رد على أهل السنة)

فنقول : إننا نوافقكم على أن هذه الآيات فيها رد على القدرية الذين لايقرون بخلق الله لأفعال العباد ، لكن ليس في هذه الآيات أي دلالة على أن العباد ليس لهم قدرة ولا مشيئة كما تزعمون .

- الآيات التي تثبت المشيئة لله تعالى وحده، نقول أن نفس هذه الآيات هي رد على قول الجبرية لأن الله تعالى في هذه الآيات أثبت المشيئة للعباد، فهل ينفي الله شيء لا يُتصور؟ لكن هذه المشيئة مرتبطة بمشيئة الله. فمفهوم الآية:"وما تشاءون إلا أن يشاء الله" أنكم أيها العباد تشاءون إذا شاء الله، فأثبت الله المشيئة للعباد، لاكما تزعمه الجبرية من أن العباد ليس لهم أي مشيئة .
- الآيات التي تدل على أن الله ختم على القلوب، نقول إن المراد بالختم والطبع أن الله تعالى عاقبهم على كفرهم وعنادهم بذلك وليس هو ختماً أو طبعاً حقيقياً، ف العبد ابتدأ بإرادته واختياره فأعرض عن الإيمان فعاقبه الله بذلك أن صرفه عنه .
- دليلهم الرابع وهو قول الله تعالى:"وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"، فالرد من وجهين:

الوجه الأول: أن هذه الآية مخصوصة بواقعة بعينها وهي موقعة بدر لما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب ورماها في أوجه الكفار فأصابت تلك القبضة أعينهم.فمعنى الآية: وما أوصلت التراب إلى أعين المشركين برميتك بل الله أوصلها.
الوجه الثاني: أن الله في الآية نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم رمياً فقال : إذ رميت، فالرمي المنفي في قوله تعالى وما رميت بمعنى إيصال التراب إلى أعين المشركين، والرمي المثبت في قوله تعالى إذ رميت هو أخذه قبضة من تراب وإلقاؤها على الناس.
والرد على استدلالهم بالآية:" إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌ من عند الله" من وجهين :
الوجه الأول :أن هذه الآية ليس لها علاقة بأفعال العباد أصلا ً فإن المعنى المراد بقوله "إن تصبهم حسنة" أي نعمة، وقوله "إن تصبهم سيئة" بمعنى المصيبة وهذا ما عليه الجمهور خلافاً للجبرية الذين فسروا الحسنة بالطاعة والسيئة بالمعصية، ويدل على ذلك قول الله تعالى في الآية الأخرى: "إن تصبك حسنة تسوءهم وإن تصبهم مصيبة".
والوجه الثاني : أن آخر الآية يرد على استدلالهم في قول الله تعالى:"قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما

أصابك من سيئة فمن نفسك"[1] فنسب الله السيئة إلى العبد نفسه .
ففي الآية رد على الجبرية والقدرية معاً لأن أول الآية في قوله تعالى:"قل كلٌ من عند الله" رد على القدرية وفي قوله تعالى:" ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك" فيه رد على الجبرية لأن الآية أثبتت الفعل من الله ومن العبد، فلا بد أن نأخذ بمقتضى الآية العام ونقول الله تعالى هو الخالق والعبد له قدرة واختيار، والذي يأخذ بجانب ويترك الجانب الآخر قد انحرف وزاغ وخرج عن مقتضى النص.
الرد على أدلة المعتزلة:

<u>الرد الإجمالي:</u>

وهو رد عقلي كما قال السلف، احتجوا عليهم بالعلم (علم الله السابق) لأن هؤلاء القدرية يثبتون العلم والكتابة وينكرون المشيئة والخلق، فإن أنكروا العلم فقد كفروا وإن أقروا به خُصموا (أي أن يُقال: هل يقع في الكون خلاف ما علمه الله تعالى، فسيقولون كلا، فيقال إذن الله سبحانه وتعالى أراد هذا الأمر ووقع وفقاً لإرادته وعلمه).

<u>الرد التفصيلي:</u>

الرد على أدلتهم العقلية:

- قالوا بدعوى تفريق بين الأمور الاضطرارية والأمور الاختيارية فنقول أن دعوى التفريق بين الأمور الاختيارية والاضطرارية والفصل بين المحسن والمسيء وحسن الوجه وقبحه مقبولة، لكن من أين لكم الدليل على أن هذه الأفعال الا ختيارية للعبد ليست مخلوقة لله فهي أفعال اختيارية يحمد عليها العبد ويذم ، وهي في نفس الوقت مخلقة لله .
- الرد على قولهم : لو كان الله خالقاً لأفعال العباد للزم من ذلك أن يُنسب الظلم إليه، فنقول أن هذه الشبهة مردودة لكونهم غفلوا عن الفرق بين ما هو خلق الله وما هو مخلوق له، وأفعال العباد مخلوقة لله فالفعل ظاهره يُنسب للعبد لكن هو مخلوق لله ، وقد سبق نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على هذه الشبهة

الرد على أدلتهم النقلية:

- يرد على استدلالهم بالآيا ت التي تثبت المشيئة للعباد آيات الجبرية التي تُثبت المشيئة لله وحده.
- استدلالهم بنسبة الإيمان والكفر إلى العبد لا يلزم منه أن يكون الفعل ليس مخلوقاً لله، كما أن الألوان والصفات تُنسب إلى العبد وهي مخلوقة لله إتفاقاً، لأن نسبتها إلى العبد لا يقتضي نفي خلقها من الله تعالى. وهذا فيه رد على استدلالهم بالآيات التي فيها اعتراف الأنبياء بذنوبهم فليس فيها ما يدل على أن هذه الذنوب ليست مخلوقة لله، فالأنبياء نسبوا الذنوب إلى أنفسهم، أولا ً تأدباً مع الله تعالى وثانياً

---

[1] النساء 87-97.

نسبة الظلم إلى العبد لا يقتضي نفي خلق الله له.

- الرد على استدلالهم بالآيات التي ترتب الجزاء على العمل مثل قوله تعالى:"جزاءً بما كانوا يعملون" حيث قالوا :إن الباء في هذه الآيات تدل على أن العمل هو عوض الجزاء، فنقول إن هذه الآيات لا تصلح دليلا ً على قولهم لأن الباء في هذه الآيات هي باء السببية وليست للعوض فأعمالهم هي سبب جزاءهم ودخولهم الجنة وإلا فالأصل في الجزاء هو مشيئة الله وقدرته ورحمته بعباده، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:"لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمتي".

وهذا الحديث ظاهره يتعارض مع قول الله تعالى:"ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون"[1]، و الجمع بين الآية والحديث أن الباء في الآية هي باء السببية أي ادخلوا الجنة بسبب عملكم أما الباء في الحديث فهي باء العوض أي لا يدخل أحدكم الجنة استحقاقاً بعمله أو عوضاً عن عمله.

مذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر

1- بالنسبة لخلق الله تعالى لأفعال العباد ، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر كله خيره وشره ويؤمنون بمراتب القدر الأربع كلها، العلم و الكتابة والمشيئة والخلق، فيؤمنون بها كلها على سبيل الإجمال بدون أن يستثنوا شيئاً من ذلك، ومن ذلك خلق أفعال العباد فهي من القدر الذي علمه الله وكتبه وأراده وخلقه.
2- بالنسبة لقدرة العبد، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن العبد له قدرة واختيار وإرادة، وأن الفعل يُنسب إليه على أنه هو فاعله أو أنه الذي صدر منه كما يصح نسبة الفعل إلى الله تعالى على أنه هو خالقه ويُثبتون أن قدرة العبد لها تأثير في الفعل كتأثير سائر الأسباب بمسبباتها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

الذي عليه سلف الأمة إثبات الأسباب وأن قدرة العبد مع فعله لها تأثير كسائر تأثير الأسباب بمسبباتها، والله خلق الأسباب والمُسببات، والاسباب ليست مستقلة بالمسببات بل لا بد لها من أسباب أُخر تُعاونها، والمسبب لا يكون حتى يخلق الله جميع أسبابه ويدفع عنه أضداده المعارضة له وهو سبحانه يخلق جميع ذلك بمشيئته وقدرته كما يخلق سائر المخلوقات، فقدرة العبد سبب من الأسباب وفعل العبد لا يكون بها وحدها

[1] النحل 23.

بل لا بد من الإرادة الجازمة مع القدرة.....إلى آخر كلامه.

مسألة: الجمع بين ما ظاهره التعارض من النصوص في باب القضاء والقدر

جاءت عدة نصوص في القرآن وفي السنة في ظاهرها التعارض من حيث أن المقضي أو المقدر، هل يتغير أم لا يتغير، فمن النصوص التي ظاهرها أن المقضي يتغير قول الله تعالى:"يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أُم الكتاب"[1] فظاهر هذه الآية أن القضاء يتغير، وقوله عليه الصلاة والسلام مما رواه أنس رضي الله عنه:" من سره أن يُبسط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه" فظاهر هذا الحديث أن صلة الرحم تزيد في العمر وتبسط في الرزق فيتغير ما كُتب للعبد من أجل أو رزق، وأيضاً جاء في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال:" لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه" فظاهر هذا النص أيضاً أن الدعاء يرد الشيء المقضي عنه.

هذه النصوص ظاهرها يتعارض مع النصوص الأخرى التي تفيد أن القدر لا يتغير فمن ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استُغسلتم فاغسلوا".

العين معروفة قد يكون سببها الحسد وقد يكون سببها الإعجاب، ولذلك قد يعين الإنسان نفسه، فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن العين حق وأن الذي ينكر العين فقد أنكر شيئاً ثابتاً في الشرع والواقع، بل إنه عليه الصلاة والسلام قال:" إن العين لتُدخل الرجل القبر والجمل القدر"[2] أي يموت الإنسان بسب العين وتُهلك بهيمة الأنعام أيضاً، ولهذا ينبغي على الإنسان أن لا يُظهر نعمه لكي لا يُصاب بعين حاسد أو عين عاجب.

ففي الحديث أفاد النبي صلى الله عليه وسلم أن العين حق وأنه إذا طُلب من أحد الاستغسال فليغسل.

الجمع بين هذه النصوص:

للعلماء ثلاثة أقوال:

1- أن القدر لا يتغير أبداً وقالوا المراد بالآية يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أُم الكتاب ، الناسخ والمنسوخ من الأحكام الشرعية أي يمحو الله ما يشاء من الأحكام الشرعية ويُثبت ما يشاء، وقالوا المراد ببسط الرزق في صلة الرحم وزيادة العمر البركة. أو قالوا أن صلة الرحم تكون سبباً لزيادة العمر وكل ذلك مقدر وكذلك الدعاء فيقولون أنه قد قُدر أن العبد يصل رحمه ويُزاد في عمره (أي كُتب لهذا العبد أنه سيصل رحمه ويُزاد له في عمره بسبب ذلك) وقالوا أن الصُحف التي في أيدي الملائكة واللوح المحفوظ كلها لا تغير فيها وكل ذلك

[1] الرعد 93.

[2] صحيح مسلم

مقدر.

-2 أن القدر يتغير وقالوا أن الله سبحانه وتعالى بقدرته يُغير ما هو مكتوبٌ في القدر بمشيئته وإرادته فهو لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون وأخذوا بظاهر الآية يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب، إلا أن بعض أصحاب هذا القول قالوا أن كل الأشياء تتغير إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة، أما الحياة و الموت فاستدلوا بقوله تعالى:" فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون" وأما الشقاوة والسعادة فاستدلوا بحديث:"من كان من أهل السعادة فسيُيسر لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيُيسر لعمل أهل الشقاوة".

-3 الجمع بين النصوص المتعارضة فقالوا أن القدر منه ما يتغير ومنه ما لا يتغير واختلفوا أصحاب هذا القول في كيفية الجمع، فقيل:

1) وهذا قول الطحاوي: إذا أراد الله أن يخلق النسمة جعل أجلها إن برت كذا وإن لم تبر كذا، فجمع بين الآية والحديث بمثل هذا الجمع.

2) أن الذي يتغير هو ما في صحف الملائكة وما يبدو للناس من عمل العامل وأما الذي لا يتغير فهو ما في اللوح المحفوظ وما في علم الله تعالى، وهذا القول هو الصحيح وهو الذي تجتمع به النصوص فنقول إن الله تعالى يُغير ويبدل ما في صحف الملائكة لكن ما في اللوح المحفوظ لا يتغير، وظاهر الآية يدل عليها: يمحو الله ما يشاء ويُثبت ويُبقي وعنده أم الكتاب اللوح المحفوظ. ويؤيد هذا القول تفسير ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: كتابان، كتاب يمحو منه ما يشاء ويُثبت وعنده أمُ الكتاب. أي أن القدر مكتوب في كتابين، كتاب الذي هو اللوح المحفوظ هذا لا يتغير وكتابٌ يمحو منه ما يشاء ويُثبت هذا من الكتب الأُخرى التي بأيدي الملائكة.

مسألة: ما حكم الاحتجاج بالقدر؟

لا يجوز لأي عاص أن يحتج على معصيته بالقضاء والقدر فالله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم وكلفهم، فهم يُحاسبون على أفعالهم فلا يجوز لعبد أن يحتج بالقضاء و القدر على فعل المعصية فإن هذا هو فعل المشركين. فإن قال قائل ما ذنب العاصي بمعصيته ما دامت مكتوبة عليه؟ فنقول الجواب من عدة أوجه:

-1 أن يُقال إنه قد عُلم بالافتراض أن الاحتجاج بالقدر حُجة باطلة وداحضة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: إن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة للعبد وإما أن لا يراه حجة للعبد فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس فإنهم كلهم مشتركون في القدر فحين إذن يلزم ألا يُنكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويُفسد حريمه ويضرب عنقه ويُهلك الحرث والنسل وهؤلاء جميعاً كذابون متناقضون فإن

أحدهم لا يزال يذم هذا ويبغض هذا ويُخالف هذا حتى إن الذي يُنكر عليهم يبغضونه ويُعادونه ويُنكرون عليه، فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم ألا يذموا أحداً ولا يُبغضوا أحدا ولا يقولوا في أحد إنه ظ الم ولو فعل ما فعل ومعلوم أن هذا لا يُمكن أحداً فعله ولو فعل الناس هذا لهلك العالم فتبين أن قولهم فاسدٌ في العقل كما أنه كفرٌ في الشرع. انتهى كلا مه.

2- أن يُقال إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وهو متمكن من الإيمان قادرٌ عليه وكما هو معلوم أن القدرة التي هي شرطٌ في الأمر تكون موجودة قبل الفعل لكل مكلف ومن ثم فإن الإنسان قادرٌ متمكن وقد خلق الله فيه القدرة على الإيمان فحين لا يؤمن يكون هو الذي اختار لنفسه ذلك بمحض إرادته، وما دام الأمر كذلك فليس لأحد أن يقول لماذا لم يجعلني الله مريداً للإيمان لأنه لو أراد الإيمان لقدر عليه.

3- أقرب مثال على بُطلان الاحتجاج بالقدر أن يُقال: إذا كان معلوماً أن الله قد علم وكتب أن فّلاناً يتزوج امرأة ويطأها ويُولد له وأن فلاناً يبذر البذر فينبت الزرع ولا يمكن لأحد أن يحتج بالقدر هنا فيقول أنا لا أتزوج أو لا أطأ امرأة فإن كان الله قد قدر أن يولد لي ولد فإنه سيُولد لي ولد أو يقول أنا لا أبذر البذر فإن كان الله قدر أن تنبت أرضي زرعاً فستنبت، فمثل ذلك يُعلم أن من ق ال نقول أن الله تعالى علم وكتب أن فلاناً يؤمن ويعمل صالحاً فيدخل الجنة وفّلانا يعصي الله ويفسق فيدخل النار وحين إذن فمن قال إن كنت من أهل الجنة فأنا سأدخلها بلا عمل صالح. ونقول أن هذا القول لا يمكن أن يقول به عاقل.

مسألة:إذا كنا نقول لا يصح الاحتجاج بالقضاء والقدر على فعل المعاصي فما الجواب عن ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" احتج آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قد قدره الله علي قبل أن يخلقني؟ قال عليه الصلاة والسلام فحج آدم موسى فحج آدم موسى"

الجواب عن هذا الحديث من وجهين:

الوجه الأول: إن آدم لم يحتج بالقدر على الذنب بل إن آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر فآدم أعلم من أن يحتج بالقدر على فعل المعصية وموسى أعلم من أن يلوم أبيه على ذنب قد تاب منه وتاب الله تعالى عليه واجتباه وإنما وقع اللوم المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة. فاحتج آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة فإن القدر يُحتج به عند المصائب لا عند المعايب.

الوجه الثاني: أن يُقال أن الاحتجاج بالقدر ينفع بعد وقوع الذنب والتوبة منه وترك

معاودته لأنه لا يدفع بالقدر أمراً ولا نهياً بل يكون فيه توحيد للخالق وإفراد له بـ
الحول والقوة، والاحتجاج يُضر إذا كان في الحال والمستقبل. انتهى كلامه رحمه الله
وهذا نص كلام ابن القيم. فيقول إن احتجاج آدم احتج بالقدر على أمر في الماضي
قد تاب منه فبذكره للقدر هنا سلم لله تعالى وبقضائه وقدره.
فنقول الاحتجاج بالقضاء والقدر يجوز في الأمور الماضية التي يتوب منها العبد أما
في الأمور الحاضرة والمستقبلة فلا يجوز للعبد الاحتجاج بالقدر.
مسألة كيف نقول أن الله أراد من الكافر الإيمان ولم يرده منه؟
نقول أن منشأ الضلالة في هذه المسألة هو التسوية بين الإرادة الكونية والإرادة
الشرعية وعدم التفرقة بينهما فالله تعالى أراد من الكافر شرعاً الإيمان ولم يرده منه
كوناً فالإرادة الكونية هي بمعنى المشيئة والإرادة الشرعية بمعنى المحبة والرضى ولا
يمكن أن يُحتج بالقدر على ذنب الكافر أو معصيته لما سبق في الأجوبة على مسألة الا
حتجاج بالقدر على الذنب أو المعصية، لأن الكفر نفسه ذنب.
ونقول أيضاً أن من فعل المعاصي فقد فعلها باختياره فهو الذي أعرض وتولى عن
الهدى، وهو الذي توجه إلى المعصية وفضلها على الطاعة، فإذا اعترض الكافر وقال إن
الكفر أو المعصية كانت مكتوبة عليه فيُقال له: قبل أن تقترف المعصية، ما يدريك
عن علم الله تعالى؟ فما دمت لا تعلم ومعك الاختيار والقدرة وقد وضحت لك طريق
الخير والشر فحين إذن إذا عصيت فأنت مختارٌ للمعصية المفضل لها على الطاعة و
المعرض عن الهدى، وإذا كان الأمر كذلك فتتحمل عقوبة معصيتك ولا حُجة لك قطعاً.
وأن يُقال إن الله أمر الكافر بالإيمان وحين أمره هيأ له أسباب الهداية ففطره على
الفطرة المستقيمة (فطرة الإسلام)، فما من مولود إلا ويولد على الفطرة ثم بين له
طريق الهدى وطريق الضلالة وأرسل الرسل وأقام الحجج والبينات وأعطى ذلك العبد
القدرة على الإرادة والفعل، فهل يبقى له بعد ذلك من حجة!
آثار الإيمان بالقضاء والقدر على حياة المسلم
لا شك أن إيمان السلم بالقضاء والقدر له أكبر الأثر في حياته، فإن إيمانه بالقضاء و
القدر ينعكس إيجاباً على عمله وعقيدته وأخلاقه وتعامله مع الآخرين. فمن تلك الآ
ثار:
الأثر الأول: أن الإيمان بالقضاء والقدر من أكبر الدواعي إلى العمل والنشاط والسعي
بما يُرضي الله بل هو من أقوى الحوافز للمؤمن على الإقدام على الأمر بعزم وثبات، لأ
ن المؤمن يُسلم أن كل شيء في هذا الكون بقضاء الله وقدره فهو يُقدم على كل
شيء ولا يتردد ويدعوه ذلك إلى العزيمة والجد والاجتهاد، فهو يكدح ويتعب ويكل
النتائج إلى الله تعالى، فبالتالي يكون الإيمان بالقضاء والقدر هو الدافع إلى العمل.
وهذا على عكس ما يتصوره بعض الناس أو ما يرمي به الملحدون فيدعون أن الإ
يمان بالقضاء والقدر يدعو إلى الكسل والتواني والتواكل فهذه الدعة حقيقة مما
يروجه الملحدون وسببها ما يشاهدونه من تخلف في الأمة الإسلامية فيقولون أن

من أسباب تخلف الأمة الإسلامية إيمانهم بالقضاء والقدر ويقولون أن النصر سيأتي من الله فلا داعي للجد والعمل، هذه تهمتهم بأن الإيمان بالقدر يجعل الأمة الإسلامية خامدة وتنتظر النتائج من الله تعالى.

فنقول أن هذه الدعوى غير صحيحة بل إن تخلف الأمة الإسلامية المعاصر هو نتاج من عدة أسباب ومن أهم تلك الأسباب، بُعد الأمة الإسلامية عن دينها وشريعتها ومن الأسباب جهل الأمة الإسلامية ومن جهلها، جهلها بمسألة القضاء والقدر حتى ظن بعض الناس أن مقتضى الإيمان بالقضاء والقدر هو التواني والكسل، وهذا هو خلاف تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وخلاف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم وما كان عليه سلف الأمة حيث آمنوا بالقضاء والقدر وكان من آثاره عليهم أن سعوا في الأرض إصلاحاً وعمارا، ولم يكلوا الأمور إلى الله فقط من دون عمل وبذل سبب.

كيف كان النبي يُربي أصحابه على أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يتعارض مع بذل الأ سباب؟

-جاء الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها وتقاةً نتقيها ودواءً نتداوى به, أيرد من قدر الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هي من قدر الله. أي إذا كنت تؤمن بقضاء الله وقدره فمن قدر الله أن تفعل هذه الأ سباب فالله تعالى قد كتب المقادير وكتب أن هذه المقادير لا تقع إلا بأسباب فعليك أن تأخذ الأسباب حتى تحصل تلك المقادير، ولا يجوز لأي مسلم أن يحتج بالقضاء و القدر على ترك الأسباب، وهكذا كان هدي النبي عليه الصلاة والسلام.

- يقول عليه الصلاة السلام:" المؤمن قوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ثم فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا فإن لو تفتح عمل الشيطان". فيكون المؤمن القوي قويٌ في إيمانه فيكون أحب إلى الله من المؤمن الضعيف أو يكون المؤمن القوي في جسده فيسخر تلك القوة الجسدية في طاعة الله تعالى فيكون أحب إلى الله تعالى، واحرص على ما ينفعك أي ابذل الأسباب ولا تغفل قضية التوكل على الله واجمع بين الأمرين، ولا تعجز ثم فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا فإن لو تفتح عمل الشيطان أي إذا فاتك أمر لا تتحسر على ما فاتك ولا تندم على أمر لا تستطيع أن تدركه، فإذا كنت في أمر المستقبل فعليك أن تجتهد ولا تفوتها وتقول هذا من قضاء الله وقدره بل احرص على أخذه ولا تنسى جانب الاستعانة بالله، وإذا فاتك شيء اذكر القضاء والقدر وقل آمنت بالله وسلمت بقضائه وقدره.
- وهذا عمر رضي الله عنه لما قدم الشام فبلغه أن الطاعون قد ظهر في الشام، فاستشار الصحابة، فذكر بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا ظهر الطاعون في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها وإن لم تكونوا بها فلا تقدموا عليها"

فلما أُخبر عمر بذاك الحديث أراد أن يرجع رضي الله عنه، فقال له أبو عبيدة عامر ابن الجراح: يا أمير المؤمنين، أفراراً من قدر الله!
فقال عمر رضي الله عنه: نفر من قدر الله إلى قدر الله.
فهكذا العبد يفعل الأسباب وهذه الأسباب هي من قدر الله تعالى.
وهكذا حال السلف رضوان الله عليهم لو تأملنا كيف عمروا البلدان التي دخلوها ونشروا الإسلام خلال مدة يسيرة في أصقاع المعمورة من شرقها إلى غربها، فهل كان فعلا ً إيمانهم بالقضاء والقدر سبباً لتواكلهم وتوانيهم؟ نقول كلا وهذه الدعوة لا تصح في حقهم بل هم بإيمانهم بالقدر عرفوا أنه من مقتضى الإيمان بالقضاء والقدر هو أن يتخذوا الأسباب التي قدرها الله تعالى لهم، وإيمانهم بالقدر كان هو أكبر دافع لهم لتحقيق تلك الفتوحات والانتصارات وعمارة الأرض بما أمرهم الله تعالى.
الأثر الثاني: إن الإيمان بالقضاء والقدر يجعل المسلم يعرف قدره فلا يتكبر ولا يبطر و لا يتعالى لأنه يعلم أن كل ما في يده وما أعطاه الله تعالى من النعم وما فضله به على الخلق إنما هو بقضاء الله وقدره، فهو الذي حباه تلك النعم وأمده بتلك الصحة وأغناه وسخر له ما سخره من الطيبات فمن أين يأتيه الطغيان، فالإيمان بالقضاء والقدر هو من أكبر الدواعي التي تجعل المؤمن يتواضع لله تعالى.
الأثر الثالث: إن الإنسان خُلق بطبعه محباً للحياة حريصاً على نفع نفسه كارهاً للمكاره والمصائب كما وصف الله تعالى الإنسان بقوله:" إن الإنسان خُلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا" لكن إيمان المؤمن بالقضاء والقدر يجعله يعلم دائما أم الخير من الله تعالى، فإذا أمده الله تعالى بنعمة يقول تلك نعمة أنعمها الله عليّ وعلى أهلي من قبل ويشكر الله تعالى عليها، فيكون ذلك دافعاً له لشكر الله، وإن أصابته المصيبة يقول إنما هو بقضاء الله وقدره، ويصبر ويحتسب. وهكذا يدور المسلم في سعادة على كلا الأمرين إن أصابه الخير فرح وحمد الله تعالى على ذلك، وإن أصابه الضر والسوء صبر واحتسب لأنه يعلم أن هذا بقضاء الله وقدره، فهو يؤمن إيماناً كام لا ً أنه مهما بذل من الأسباب ومهما احتاط من الاحتياطات فلن يفر من قدر الله، وبهذا يرتاح نفسياً لا سيما عند نزول المصائب لأنه يعلم أنه هذه المصيبة قد كُتبت عليه من قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. رُوي عن علقمة رضي الله عنه في قول الله تعالى:" ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها.."[1] قال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلم. ولهذا يقول الإمام الحربي وهو أحد السلف، يقول: من لم يؤمن بـ القدر لم يتهن بعيشه.
ولهذا يقول الله تعالى: "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور"، أي لا تحزن على شيء قد فاتك فتحزن

[1] الحديد 22.

وتضجر ولا تفرح بشيء قد أعطاك الله إياه والمقصود بالفرح هنا أي البطر لكي لا تطغى.
فائدة: ينبغي على المسلم عند حلول المصائب أن يتحلى بالصبر لعدة أمور،
1- أن هذا الشيء مكتوب عليه فجزعه لن يقدم شيئاً أو يؤخر.
2- أنه إن صبر فسيُؤجر على صبره وإن جزع فلن ينال الأجر وسيجمع بين خسارتين، المصيبة التي حلت عليه وخسارة الأجر من الله تعالى.
الأثر الرابع: أن الإيمان بالقضاء والقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تنتشر في المجتمعات لا سيما مرض أو داء الحسد، فالحسد سببه أن الشخص يرى النعمة عند أخيه فيتمنى زوالها منه، فلو علم ذلك الشخص أن النعمة التي بيد أخيه إنما هي من الله تعالى وبقضائه وقدره فإن داء الحسد يزول تماماً عن قلبه، ولا يمكن أن يحسد أحد لأنه يعلم أن أفعالهم وما أُعطوه إنما هو من قضاء الله وقدره، ويبين عليه الصلا ة والسلام هذه القضية في الحديث الصحيح عنه، يقول:" إن الله قسم بينكم أخلا قكم كما قسم بينكم أرزاقكم............وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب "[1]
ومعنى هذا الحديث: كما أن أخلاق أو أفعال العباد مقسومة عليهم كما تقسم بينهم الأ رزاق، فكما أن هذا غني وهذا فقير كذلك الأخلاق فهذا الشخص صدوق وهذا كذوب، وهكذا، وتكملة الحديث: وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب بمعنى إذا رأيت شخصاً قد أُعطي شيئا من الدنيا هذا ليس دليلا ً على محبة الله له لأن الدنيا تُعطى لمن يحبه الله ومن لا يحبه الله، فالكافر يتنعم في هذه الدنيا ويعيش هنيئا ليكون ذلك ابتلاء له وزيادة لعذابه في الآخرة. وكون المؤمن يُضيق عليه رزقه وعيشه في الدنيا ليس دليلا ً على بُغض الله له فقد يكون من أحب عباد الله فيبتليه الله تعالى بالمصائب بل إن أكثر الناس ابتلاء في الدنيا هم الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأ مثل فيبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان فيه صلابة شُدد عليه البلاء وإن كان في دينه رقة خُفف عليه البلاء.
تكملة الحديث وإن الله لا يُعطي الدين إلا من أحب أي على قدر محبة الله للعبد، فمن كان ملتزماً في الدين أكثر فمحبة الله له أكثر أي المقياس إن أردت أن تعرف محبة الله ليست الدنيا إنما هي الدين فانظر إلى مقدار تمسك هذا العبد في الدين حتى وإن كان ضعيفاً وليس عنده من النعم وحياته شقاء لكن ما دام متمسكاً بدينه فهو محبوب لله تعالى. وهذه هي حقيقة نهاية المطالب وأكثر شيء يطلبه الإنسان في الدنيا هو محبة الله تعالى.
الأثر الخامس: إن الإيمان بالقضاء والقدر يبعث في القلب الشجاعة على مواجهة الشدائد والإقدام على الخطور بلا تردد ولا تواني لأن العبد يؤمن أن كل شيء بقضاء الله وقدره فما دام الله تعالى قد أمره بذلك الأمر ويعلم أن هذا الأمر محبوب لله

---

[1] رواه أحمد

تعالى فهو لا يتردد فيه لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه، وقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم عن حال فئتين من الناس إحداهما تؤمن بقضاء الله وكان إيمانها دافعاً لإقدامها على طاعة الله بلا تردد والفئة الأخرى تنكر القضاء والقدر وكان ذلك دافعاً لتوانيها وتكاسلها وعدم مواجهتها للخطور، يقول الله تعالى عن حال المنافقين في غزوة أُحد:" إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا إلا ما كتب لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون"[1]. ويقول أيضاً:" أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو مكن عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا ً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قُتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين"[2]

وهكذا كانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، فكانت وصيته لابن عباس، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام:" يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف".

فهكذا كانت التربية النبوية وهكذا ينبغي علينا أن نربي أبنائنا على مثل هذه الكلمات.

جاء رجلان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يختصمان فقضى النبي لأحدهما على ا لآخر الذي قُضي عليه: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله يلوم على العجز وعليك بالكيس (أي اجتهد) فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل"[3]

الأثر السادس: الإيمان بالقضاء والقدر من أكبر العوامل على الاستقامة على طاعة الله تعالى، فهو يدعو إلى التحلي بالآداب الشرعية والسلوك الإسلامية في سائر الأمور لا سيما إذا وقع على المسلم اعتداء فهو يدعو إلى الصفح والعفو، لأن المعتدى عليه (المظلوم) ينظر إلى هذا الاعتداء على أنه من قضاء الله وقدره، فلا ينتقم لنفسه ولا يظلم الآخرين بل يعفو دائماً، لأنه يُوقن دوماً أن ما حصل هو بقضاء الله وقدره.

الأثر السابع: أن الإيمان بالقضاء والقدر يجعل العبد دائم الاستعانة بربه والتوكل عليه،

---

[1] التوبة 05.
[2] آل عمران 561-861.
[3] سنن أبي داود

فهو يعلم أن كل ما في الكون من أحداث إنما تقدير الله وقضائه، فيلجأ إلى الله عند الشدائد ويستعين بالّله في تحصيل مطلوبه ودفع مكروبه وقلبه دائماً معلقاً بربه فكلما عزم على أمر يستعين بالله ويعلم أن كل ما في الكون من تقدير الله فتجده دائما يستحضر قضية الاستعانة.
إذا استشكل على المستيقن بالله أمراً فيلجأ إلى الله بالاستخارة ثم يستشير الناس ويبدأ بالأخذ بالأسباب الشرعية مع الأسباب الحسية، أما الإنسان العادي الذي لا يلتفت إلى الاستعانة بالله تجده إذا نزل به أمراً تجده يستشير الناس ويخطط ويقرر ولا يستخير.
- الاستخارة معناها أن تفوض الأمر إلى الله تعالى، وتسأل الله تعالى أن يُوجهك للأمر الذي فيه الخير. قال أهل العلم: الإنسان بعد الاستخارة مهما أقدم إلى أي أمر فهو الخير بإذن الله تعالى.
الأثر الثامن: الإيمان بالقضاء والقدر يجعل الداعي إلى الله يصدع بدعوته بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، لأنه يعلم أن ما قدره الّله له فلن يخطأه سواء جهر بدعوته أم لم يجهر، فلإيمان بالقضاء والقدر هو في الحقيقة من البواعث على انتشار المسلمين وتصدعهم على انتشار دعوتهم لا كما يظن البعض أنه باعثٌ على الخمول و الكسل ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة على أصحابه أن يقولوا كلمة الحق ولا يخافون في الله لومة لائم، لأنه صلى الله عليه وسلم رباهم وغرس في قلوبهم على أن كل ما في الكون من شر لا يحيق بالعبد ما لم يقدره الله عليه.
- والصحابة رضوان الله عليهم مع أنهم كانوا قلة في مكة لكن كانوا متكلين على الله ومستعينين به مع صبرهم على أذى المشركين انتشرت الدعوة خلال عقود يسيرة.
<u>الكبيرة وحكم مرتكبها</u>
الكبيرة وحكم مرتكبها:
لغةً: الكبيرة في اللغة بمعنى العظيمة.
شرعاً: اختلف أهل العلم في حدها على أقوال كثيرة وقبل أن نذكر حد الكبيرة عند علماء الشريعة نقول: إن أهل العلم اختلفوا أصلا ً هل الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر أم لا!
القول الأول: ذهب بعض أهل العلم ومنهم أبو إسحق الاسفياريني والقاضي أبو بكر الباقلاني وإمام الحرمين في الإرشاد "أبو المعالي الجويني" وابن القشيري وغيرهم، ذهبوا إلى أنه ليس في الذنوب صغائر بل كلها كبائر.
قالوا أن سائر المعاصي كبائر وإنما يُقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها.
القول الثاني: عامة أهل العلم وهو أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وإلى صغائر و النصوص الشرعية متضافرة في هذه المسألة، والذي يظهر أن الخلافة بين الطائفتين لفظي لأن الجميع متفقون على أن من المعاصي ما يقدح في العدالة، وإنما فر أصحاب

الفريق الأول من تسمية بعض الذنوب كبائر كراهية أن تسمى معصية الله صغيرة نظراً إلى عظمة من عُصي وشدة عقابه. لكنهم في الحقيقة يتفقون مع قول الجمهور على أن الذنوب منها ما يقدح في العدالة وهي التي يُسميها أصحاب الفريق الثاني كبائر ومنها ما لا يقدح في العدالة (يخرج مرتكبها من وصف العادل إلى وصف الفاسق) وهي التي تسمى صغائر.

والخلاف بين الفريقين لفظي، فلذلك نقول أن نصوص القرآن دلت على أن الذنوب تنقسم إلى صغائر لا تقدح في العدالة وكبائر تقدح في العدالة، فمن ذلك:

1- قول الله تعالى:" إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نُكفر عنكم سيئاتكم ونُدخلكم مدخلا ً كريما"[1]، فشرط الله تعالى لتكفير الصغائر(السيئات) اجتناب الكبائر.

2- قول الله تعالى:"الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"[2] الصغائر التي يلم بها العبد.

3- قول الله تعالى:" ...وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون"[3]، فهذه ثلاثة مراتب للمعصية:

I) الكفر وهو خروج العبد عن دين الإسلام.

II) الفسوق وهو خروج العبد من وصف العدالة ويخرج بارتكاب الكبائر.

III) العصيان بمعنى الصغائر وهو اللمم وهذه لا تخرج المسلم من وصف الإ يمان ولا من وصف العدالة.

هذه الكلمات الفسوق والعصيان والمعصية ومشتقاتها، إذا أفردت فإنها تشمل الجميع. - فالكفر يُسمى معصية لقوله تعالى:"ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يُدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهين"[4] ويُسمى فسوقا أيضاً لقوله تعالى:" ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون"[5]

- والعصيان قد يكون كُفراً وقد يكون فسقاً لقوله تعالى:" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون"[6]

فهذه الكلمات إذا اجتمعن تخصصت وإذا أفردت عمت.

4- قوله تعالى في وصف عباده المؤمنين:" والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون"[7] معناه أن المتقين يقع منهم الزلل وارتكاب

---

[1] النساء 13.
[2] النجم 23.
[3] الحجرات 7
[4] النساء 41
[5] النور 55
[6] المائدة 74
[7] الشورى 73

الصغائر.
الأدلة من السنة:

1- ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة، قوله صلى الله عليه وسلم" الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفراتٌ لما بينهن ما اجتنبت الكبائر"
2- ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قوله عليه الصلاة والسلام:"اجتنبوا السبع الموبقات، الشرك بالله والزنى وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وقذف المحصنات الغافلات وأكل الربى وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف" المهلكات.
3- جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة يقول فيها: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر!، ويُسأل أيُ الذنب أعظم؟ فيُجيب عن ذلك، فمنه:
أ- حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله: أيُ الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك قلت ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك، ثم تلا صلى الله عليه وسلم:" والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا[1]"[2]
ب- عن أبي بكرة رضي الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر! قلنا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس ، قال: ألا وقول الزور وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.
فلماذا أكد النبي صلى الله عليه وسلم على شهادة الزور وهل هي أعظم من الإ شراك بالله وعقوق الوالدين! لا ولكن اعتدل عند ذكر هذه الكبيرة لأن الناس يتسامحون ويتساهلون فيها.
فائدة: قال صلى الله عليه وسلم:"عدلت شهادة الزور الشرك بالله، وتلا قوله تعالى:"..واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور.."[3]
قال صلى الله عليه وسلم:"إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يُهلكنه"

الأقوال في حد الكبيرة

ما هي الكبيرة؟
اختلف العلماء في ضابط الكبيرة على أقوال متعددة، فبعضهم يحدها بالعد ويقول

[1] الفرقان 86-96
[2] ثابت في الصحيحين
[3] الحج 03

إنها سبعة وقال بعضهم إنها سبعة عشر وقال بعضهم إنها سبعون، والاتجاه الآخر لأهل العلن أنهم يحدونها بالوصف، فيصفون الكبائر وصفاً عاماً، واختلف أهل العلم في وصف الكبيرة على أقوال فما هو ضابط الكبيرة، الذنب الذي إذا فعله العبد يكون قد ارتكب كبيرة!
القول الأول: الكبيرة ما اتفقت الشرائع على تحريمها، وهذا قول ضعيف جداً لأن من ا لأشياء التي كانت مباحة في السابق زواج الرجل من المحرم بالرضاعة لكنه في شريعتنا من الكبائر، كذلك الفرار يوم الزحف لم يكن محرماً في كل الشرائع إنما حُرم في شريعتنا.
القول الثاني: أن الكبيرة كل ما يُشعر برقة دين مرتكبها، أي بحسب أثرها في نفس العبد. وهذا قول غمام الحرمين في كتابه البرهان.
القول الثالث: الكبيرة هي ما يسد باب المعرفة بالله، أي الذنوب التي تطمس على القلب تُعتبر كبيرة. وهذا القول غير منضبط.
القول الرابع: الكبائر هي الذنوب التي رُتب على فعلها الحد، وهذا القول ضعيف لأن عقوق الوالدين من الكبائر ولا يترتب عليه حد وكذا في أكل الخنزير وغيره.
القول الخامس: الكبيرة ما يترتب عليها حد أو وعيد في الآخرة أو لعنة أو غضب.
القول السادس: أن الكبيرة هي كل ذنب رُتب عليه <u>وعيد خاص</u> (الوعيد الخاص قد يكون حد في الدنيا أو لعنة في الآخرة أو غضب من الله)، وهذا هو القول الصحيح لأ ن الوعيد الخاص لا يقتصر على هذه الأمور الأربعة.
<u>نقطة هامة:</u>
يقول أهل العلم: إن الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والا ستهانة بها ما يُلحقها بالكبائر.
وهناك من يرتكب الذنب ويستحقره ويستهين به ويُسمى هذا الأمن من مكر الله وهو من أعظم الذنوب وربما البعض يُجاهر بذنبه أمام الناس ويتبجح به ولا يردعه شيء، فذنبه هذا وهو أمنه من مكر الله أعظم من ذنبه الذي اقترفه ولهذا يقول الله عز وجل:"فإنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون".
وأحياناً تكون الصغيرة لما يقترن بها من وقوع في وقت أو مكان معين تُصبح كبيرة من الكبائر، مثل أن يرتكب الإنسان الذنب في رمضان فهو أعظم من ارتكابه في غيره لأنه شهر معظم وأيضاً مثل إذا ارتكب الإنسان ذنباً في الحرم فإن الذنب يعظم لأنه هتك حرمة البيت الحرام وارتكب ذنبه في مكان محرم.
ومثله أيضاً من يرتكب الصغيرة وهو لا يبالي بها فهو أعظم ذنباً ممن يرتكب الصغيرة

ونفسه خائفة وقلبه وجل منها.

مسألة: حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة

هذه المسألة تشعبت فيها الآراء واختلف فيها الأقوال وخاض فيها فئامٌ من الناس ووقع فيها لبسٌ كبير بل وصُنف فيها كثير من المصنفات، وحقيقة هذه المسألة من المسائل المشكلة في هذا العصر لكثرة التكفير في هذا العصر حيث قد يقع بعض الناس في كبيرة من الكبائر أو عمل كفري فيُبادر الناس إلى تكفيرهم دون النظر إلى القيُود والضوابط الشرعية، وعلى النقيض من ذلك فهناك بعض الناس يتساهلون حتى أنهم يجعلون عظائم الأمور أخف في أعينهم من البعوض.

ولهذا نقول أن الناس في هذه المسألة طرفان ووسط:

الطرف الأول: وهو جانب الغلوّ (الغلاة)، ويتبناه فرقة يُسميهم أهل العلم الوعيدية بمعنى أنهم أخذوا بنصوص الوعيدية وأهملوا نصوص الوعد هذه التسمية الوعيدية هي وصف لعدة فرق أخذوا بنصوص الوعد، وهم متفقون على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار لكن اختلفوا في اسمه في الدنيا، وأشهر فرق الوعيدية هي المعتزلة و الخوارج وكلا الفرقتين متفقتان على أن مرتكب الكبيرة حكمه في الآخرة أنه مُخلد في النار.

اسم مرتكب الكبيرة في الدنيا:

المعتزلة: هو في منزلة بين المنزلتين، بين الإيمان والكفر أو بين الإسلام والكفر. وهذه المسألة التي خالف فيها واصل بن عطاء الحسن البصري.

الخوارج: يقولون هو في الدنيا كافر. وهذا هو الخلاف بين الفرقتين (اسم مرتكب الكبيرة في الدنيا).

ولذلك يُسمي أهل العلم هذه المسألة مسألة الأسماء والأحكام، أي أسماء مرتكب الكبيرة وأحكامهم عند الفرق. وهذا المذهب والاتجاه موجود في العصر الحاضر فـ الخوارج والإباضية موجودون ويتبنون هذه المسألة بتكفير مرتكب الكبيرة وكذلك تبنى قول المعتزلة كثيرٌ من العقلانين المعاصرين والشيعة الاثنى عشرية.

الطرف الثاني: المفرطين (المرجئة)، يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فما دام العبد معه أصل الإيمان فمهما ارتكب من المحرمات فلا يضره ذلك ، وهؤلاء يتبنون مذهب الإرجاء وهو قديم وموجود في الإسلام وموجود في العصر الحاضر.

القول الوسط: وهو قول أهل السنة والجماعة.

قولهم الإجمالي: مذهب أهل السنة والجماعة أن مرتكب الكبيرة غير الشرك بالله مستحقٌ للوعيد وهو تحت المشيئة والإرادة، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه، ويرون أن من الذنوب ما هو مكفر (كما سيأتي تفصيله) ومنها ما ليس بمكفر.
مستحقٌ: أي أنه يستحق العقاب لكن لا يلزم معاقبته فقد لا يُعاقب فلله سبحانه وتعالى أن يُعاقبه ولكن لا يلزم وقوع العقاب، ومُستند أهل السنة والجماعة في هذا الباب هو قول الله تعالى:"إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يُشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما"[1].
فمعنى هذه الآية أن من أشرك بالله تعالى لا يغفر الله له لأنه استوجب العقاب فلا مناص من معاقبته فهو مُخلد في النار، لكن من وقع في ذنب دون الشرك أياً كان ذلك الذنب زلا يصل إلى درجة الكفر فهذا مستحق للعقاب وهو تحت مشيئة الله فإن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له.
ويرى أهل السنة أن الذنوب صغيرها وكبيرها تنقص الإيمان خلافاً لقول المرجئة الذين يقولون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب.
ويُسمي أهل السنة والجماعة مرتكب الكبيرة فاسقاً وهو مُستحقٌ للعقاب تحت المشيئة والإرادة. والخلاف بين أهل السنة والوعيدية هو خلاف حقيقي.
الوعيدية: من ارتكب كبيرة فهو مُخلدٌ في النار إلا أن يتوب، ورأيهم فيه أنه كالكافر.
القاعدة العامة: مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة هو تحت المشيئة والإرادة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه حتى وإن مات وهو مصر على الكبيرة وهذا الحكم في حال عدم توبته أما إذا تاب فإن التوبة تجب ما قبلها. كما قال عليه الصلاة والسلام لعمر ابن العاص عندما جاء للنبي يريد أن يُسلم، فلما بسط النبيُ صلى الله عليه وسلم يده إليه ليبايعه، قبض عمر ابن العاص يده، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: مالك يا عمر فقال: إني أريد أن أشترط وقال أُريد أن يغفر الله لي ما كان من ذنب سابق، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: أما علمت يا عمر أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن التوبة تهدم ما كان قبلها وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وجاء في صحيح مسلم كذلك: وأن الحج يهدم ما كان قبله.
فالله تعالى تكفل بمغفرة ذنوب التائبين، قال تعالى:"قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين"[2]

<u>شبه الفرق في حكم مرتكب الكبيرة</u>

---

1) شُبه الوعيدية الذين يقولون أن مرتكب الكبيرة كافر، استدلوا بعدة أدلة:
شبهتهم الأولى: إطلاق لفظ الكفر على مرتكبي الكبيرة في عدد من النصوص الشرعي، مثل - ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم

---

[1] النساء 84.
[2] الأنفال 83.

قال:"سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" وتسمية النبي قتال المسلم كفر هو دليل على أنه كفر.
- ومن ذلك ما ثبت في الصحيح عن زيد ابن خالد الجهني قال صلى بنا النبي عليه الصلاة والسلام صلاة الصبح في الحديبية على إثر سماء كانت من الليل (أي مطر) فلما انصرف من صلاته قال: أتدرون ما قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال إنه قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمنٌ بي كافر بالكوكب ومن قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فهذا كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب"
- وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين:" من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" أي استحق تلك الكلمة أحدهما ولذلك جاء في الحديث الآخر:"من قال لأخيه يا كافر فإن كان كذلك وإلا حارت عليه" أي رجعت عليه.
- قوله صلى الله عليه وسلم:"اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب و النياحة على الميت"
- وأيضاً جاء عنه عليه والصلاة والسلام كما ثبت في الصحيح أنه قال:" أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليه"
- وأيضاً جاء عنه عليه الصلاة والسلام في الصحيحين أنه قال:" من ادعى أباً غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فقد كفر" وفي رواية "فالجنة عليه حرام".
- أيضاً جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من أتى كاهناً أو عرّافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد".
وجه استشهادهم بهذه النصوص، قالوا أن هذه النصوص ليست كفرية أصلا ً فإذا أبق العبد من مواليه هو ارتكب كبيرة لكن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفه بالكفر، فهذا دليل على أن مرتكب الكبيرة كافر.
شبهتهم الثانية: أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم دخول الجنة على مرتكب بعض الذنوب مما هي دون الكفر، مثل قوله عليه الصلاة والسلام:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"، ومثل قوله:" لا يدخل الجنة قاطع" أي قاطع رحم.
شُبهتهم الثالثة: استدلوا ببعض النصوص التي تُفيد التخليد في النار لمن ارتكب كبيرة من الكبائر، مثل قوله تعالى:" ومن يقتل مؤمناً متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما"[1].
شُبهتهم الرابعة: قول الله تعالى:" ...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[2]
وقالوا أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون معصية دون الكفر الأكبر، مثل أن يتبع القاضي هواه أو يتسامح مع أحد الخصوم فهذا حكم بغير ما أنزل الله تعالى ووصفه الله بالكفر.

[1] النساء 39.
[2] المائدة 44.

شبُهتهم الخامسة: قوله تعالى:" ما يُبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد"[1]، قالوا فهذا يدل على أن العقوبات التي رتبها الله على الذنوب لا يبدلها الله، فإذا حكم الله على ذنب بأن صاحبها يُعاقب بكذا وكذا فلا يُغير الحكم، أي أن الوعيد الذي جاء الناس لا يُبدل.

ب) شبُه المرجئة وهم الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب، فهم لا يُكفرون أحد من أهل القبلة حتى المنافقين، واستدلوا بنصوص الوعد من القرآن والسنة:

- ما جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة" فقال أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله، وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق. كررها ثلاثاً..على رغم أنف أبي ذر.
- ما جاء في الصحيحين عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال: يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قلت الله ورسوله أعلم، فقال عليه الصلاة و السلام: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لبا يُعذب من لا يُشرك به شيئا، <u>فظاهر هذا النص أن العبد لو فعل الموبقات فلن يُعذبه الله</u>، فقلت (معاذ) ألا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا، ثم أخبر بها معاذ في آخر حياته تأثماً (أي خوفاً من كتمان العلم).
- قال صلى الله عليه وسلم:"إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله".
- جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه قال:"إن الله يُخرج من النار من كان في قلبه مثال حبة خردل من إيمان".
- وما جاء في صحيح مسلم، حديث جابر رضي الله عنه أن النبي عليه الصلا ة والسلام قال:"من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يُشرك بالله شيئاً دخل النار" وجاء في رواية أُخرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في أول الحديث:"أتدرون ما الموجبتان؟ قالوا: وما الموجبتان يا رسول الله، قال: من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يُشرك بالله شيئاً دخل النار".

ج) القول الوسط، قول أهل السنة والجماعة:

ومن سمات منهج أهل السنة والجماعة هو التوسط في المسائل، وهذا هو في الحقيقة

[1] ق 92.

سمة الأمة الإسلامية عامة كما قال الله تعالى:" وكذلك جعلناكم أمة وسطا"[1] التوسط الذي يكون في العدل، وكذلك في مسألة حكم مرتكب الكبيرة، أهل السنة والجماعة وسط بين المرجئة والوعيدية فأهل السنة والجماعة المذهب الحق في هذه المسألة وهو أن مرتكب الكبيرة فاسق أو يُقال إنه مؤمن ناقص الإيمان وهو تحت المشيئة وا لإرادة فإن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه ما لم يقع في الشرك أو في الكفر الأكبر فيخرج عن الملة في ذلك ويستحق الخلود في النار. وأدلتهم هي نفس أدلة المرجئة و الوعيدية إلا أنهم جمعوا بين النصوص وقالوا إن مرتكب الكبيرة مستحق للوعيد لكن لا يلزم وقوع العذاب به.
أدلتهم الخاصة:

1- قول الله تعالى:"إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما"[2] فمعنى الآية أن الله سبحانه وتعالى لا يغفر الشرك لكن ما دون الشرك فإن الله تعالى قد يغفر الذنب تقبلا ً منه ومنة وقد يُعذب العبد عليه عدلا ً منه وقسطا.
2- أن الله سبحانه وتعالى وصف المؤمنين بأنهم إخوة بحال يرتكبون فيها كبائر الذنوب في مثل قوله تعالى في القصاص :"يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان"[3]. الشاهد في قوله: فمن عُفي له من أخيه، فأبقى الله وصف الأ ُخوة الإيمانية بين القاتل والمقتول مع أن القاتل قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، فهو لم يخرج بذلك من الإيمان بذلك الذنب.
3- قول الله تعالى:" وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأ ُخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله......إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم"[4].
4- قوله عليه الصلاة والسلام:" أتدرون ما المفلس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: المفلس من أمتي الذي يأتي يوم القيامة وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا فيأخذ هذا من حسناته ويأخذ هذا من حسناته ويأخذ هذا من حسناته فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم ثم طرحت عليه ثم طُرح في النار" الشاهد في قوله: من حسانته، فأثبت الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا الذي ارتكب كبائر الذنوب له حسنات، وهذا فيه ردٌ على الوعيدية. وفي الحديث رد على المرجئة،

[1] البقرة 341.
[2] النساء 84.
[3] البقرة 871.
[4] الحجرات 9.

ففعل العبد لكبائر الذنوب أنقص درجة الإيمان عنه.

5- ما جاء في الصحيحين عن عُبادة ابن صامت رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :"بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا و لا تزنوا فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم عُوقب به في الدنيا فهو كفارةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عنه وإن شاء عذبه، قال فبايعناه على ذلك" ، أفاد الحديث أن الناس على ثلاثة أقسام:

أ) منهم من لا يقع في المعاصي (من وفى منكم) أي من حافظ على المبايعة.

ب) الذين يرتكبون شيئاً من الموبقات ثم يُعذبون في الدنيا أي الحد الذي يُقام عليهم يُعتبر كفارة له، وهذه من فوائد القصاص وإقامة الحدود أنها كفارة لذنب المذنب حتى وإن لم يتب لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعلق الحكم على التوبة، إنما علقه على إقامة الحد.

ج) الذي يرتكب الكبيرة ولم يُعاقب في الدنيا وستره الله، فهذا أمره إلى الله إن لم يتب، فهو تحت المشيئة والإرادة.

<u>الرد على شُبه الوعيدية:</u>

الرد على شُبهتهم الأولى: وهي أن النبي عليه الصلاة والسلام سمى بعض الذنوب كفراً. فالجواب عن هذه النصوص:

أن يُقال أن المراد بالكفر هنا الكفر الأصغر، لأن الكفر عند أهل السنة قسمان، كفرٌ أكبر يُخرج عن الملة يُخلد صاحبه في النار، وكُفر أصغر يُسمى كفر النعمة، فهذا صاحبه لا يُخلد في النار وإنما قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب حتى نجمع بين النصوص، فمثلا ً الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث سمى القتال كفراً والله سبحانه وتعالى قد أثبت أن المتقاتلين إخوة وأنهم مؤمنون.

فالجمع بين الآية والحديث

أن نقول أن الكفر الذي في الحديث هو الكفر الأصغر وليس كفراً مخرجاً عن الملة، وهذا كما قال عليه الصلاة والسلام في حق النساء:"ما رأيت من ناقصات عقل ودين......تكثرن من اللعن وتكفرن العشير" فالكفر هنا بمعنى تجحدن نعمة الزوج. (لم يُكمل)

- الكفر الأكبر هو الشرك بالله تعالى بمعنى أن يجعل العبد لله شريكاً في عبادته أو يرتكب ناقضاً من نواقض الإيمان.
- الكفر الأصغر هو كل ما ُسمى في الشرع كفراً وليس بناقض من نواقض ا لإيمان، وقد اختلف أهل العلم، هل يُغفر الكفر الأصغر كسائر الذنوب أم أنه يُلحق بالكفر الأكبر مع اتفاق أهل السنة على أن مرتكب الكفر الأصغر لا يُخلد

في النار!!.
بعض أهل العلم يرى أن الشرك (الكفر) الأصغر لا يُغفر وإن كان صاحبه لا يُخلد في النار ويستدلون بقول الله تعالى:"إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء". وشيخ الإسلام ابن تيمية يُرجح هذا القول.
فالرد عليهم: أن المقصود بالكفر في هذه النصوص هو الكفر الأصغر مثل قوله عليه الصلاة والسلام:"اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت" على أنه في بعض الذنوب التي ذُكرت في تلك النصوص ما يُوجب الخروج من الملة لأن بعض هذه الذنوب مخرج من الملة أي أنه كفرٌ أكبر، مثل الاستسقاء بالأنواء في حديث زيد ابن خالد الجهني الذي يقول: مُطرنا بالنجم الفلاني، وهذا فيه تفصيل:

- إذا نسب المطر إلى النوء على أنه هو الفاعل والمنزل للمطر فهذا شرك وكفر أكبر.
- من ينسب المطر إلى النوء على أنه سبب فيه، فهذا شرك أصغر لأنه اعتقد أنه سبب.
- أن يعتقد أن ظهور النوء علامة على الحدث فهذا جائز وليس فيه محظور. لأن الله سبحانه وتعالى خلق النجوم لحكم ثلاث فقط فمن زاد على تلك الحكم فقد تعدى على ما ذكره الله في كتابه:

1- زينة للسماء، قال تعالى:" إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح".
2- رجوماً للشياطين، قال تعالى:"وجعلناها رجوماً للشياطين".
3- علامات ليُهتدى بها.

هذا بالنسبة لحديث زيد ابن خالد الجُهني، أما حديث أبي هريرة: "من أتى كاهنا أو عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد"، نقول إم ظاهر هذا الحديث مراد وصحيح، فالذي يأتي كاهناً أو عرّافاً يدّعي علم الغيب فيسأله عن شيء فيصدقه في كلامه فقد كفر كُفراً أكبر مخرجاً عن الملة، لأن إتيان الكهان و العرافين والمنجمين على أحوال ثلاث:
الحالة الأولى: أن يأتي الكاهن فيسأله فيصدقه، فهذا كُفرٌ أكبر لأنه مُكذبٌ للقرآن الكريم، فالله تعالى يقول:"قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يُبعثون"[1] وهذا الكاهن يدعي أنه يعلم الغيب فإذا صدقه ذلك الشخص فقد كذب القرآن الكريم.
الحالة الثانية: أن يأتي الكاهن لمجرد السؤال ولا يصدقه أو يذهب لمجرد الاستخبار أو تطفلا ً، فدخوله على الكاهن بحد ذاته إثمٌ وكبيرةٌ من كبائر الذنوب وتوعد عليه النبي عليه الصلاة والسلام بأنه لا تُقبل له صلاةٌ أربعين يوماً. قال صلى الله عليه وسلم:" من أتى كاهناً أو عرّافاً فسأله عن شيء <u>لم تُقبل له صلاة</u> أربعين يوماً" و

[1] النمل 56.

المقصود ب لم تُقبل أي لا يُثاب على صلاته.
الحالة الثالثة: أن يأتي للكاهن للإنكار عليه، فهذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
أما في حديث:" من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما"، عدّه العلماء من المستشك لات حيث أ ظاهره غير مراد، ذلك لأم مذهب أهل الحق لا يُكفر المسلم بالمعاصي.
- القول الراجح في تأويل هذه الأحاديث: أن الكفر المراد في هذه الأحاديث الكفر الأ صغر جمعاً بين هذه النصوص والنصوص الأخرى التي تثبت الإيمان لمن ارتكب مثل هذه الذنوب.

فمن الأجوبة:

1- أن هذه الذنوب محمولةٌ على المستحل لذلك، وهذا يُكفّر، وهذا الجواب غير صحيح لأن قضية الاستحلال أمر آخر غير ارتكاب الذنب، فعلى هذا معنى باء بها، أي بكلمة الكفر، وكذا حار عليه وهو معنى رجع عليه أي رجع عليه الكفر.
2- معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره.
3- أنه محمولٌ على الخوارج المكفرين للمؤمنين. وهذا اقول، يقول النووي أنه ضعيف.
4- أن ذلك يؤول به إلى الكفر أي ارتكاب مثل هذه الذنوب يؤدي به إلى الكفر كما قالوا: المعاصي بريد الكفر.

ثم قال النووي في شرح الحديث الآخر:"اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت" قال، فيه أقوال أصحها أن معناهما من أعمال كفر ومن الجاهلية. وهذا الجواب له حظٌ من النظر، تسمية هذه الذنوب كفراً بمعنى أنها من أخ لاق أهل الكفر، والثاني أنه يؤدي إلى الكفر، والثالث أنه مفر النعمة والإحسان (كفر أصغر) وهذا الراجح، والرابع أن ذلك في المستحل لتلك الذنوب وهذا الجواب ضعيف لأن استحلال الذنب غير ارتكابه والرسول صلى الله عليه وسلم ذكر الحديث في مرتكب الذنب.
أصح جواب: أن يُقال أن الكفر المراد في هذه الأحاديث هو الكفر الأصغر. والجواب ا لآخر قريب وهو ما ذكره النووي أن هذه من أخلاق أهل الكفر ولا يقتضي ذلك أنه كافر.
الرد على شبهتهم الثانية: وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم دخول الجنة على مرتكب بعض الذنوب مما هي دون الكفر، مثل قوله عليه الصلاة والسلام:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"، ومثل قوله:" لا يدخل الجنة قاطع" أي قاطع رحم.
الرد: نقول إن مثل هذه النصوص يُحمل على أن لا يدخل الجنة ابتداءً، جمعاً بين هذه

النصوص والنصوص الأخرى التي تفيد دخول المؤمنين كلهم الجنة حتى مرتكب الكبائر منهم.
الرد على شبُهتهم الثالثة: استدلالهم ببعض النصوص التي تفيد التخليد في النار لمن ارتكب كبيرة من الكبائر، مثل قوله تعالى:" ومن يقتل مؤمناً متعمدا فجزاؤه جهنم خـ الداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما"[1].
الرد: نقول إن هذه الآية من المشكلات أو من الآيات المتشابه في القرآن الكريم، والذي عليه أهل السنة والجماعة والذي دلت عليه نصوص القرآن والسنة أن القاتل لا يُخلد في النار لقول الله تعالى:"إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"
أيضاً حديث عبادة ابن الصامت المتقدم:"بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا من إملاق" وقال في آخر الحديث فمن أصاب من ذلك شيئا ثن عُوقب فيه في الدنيا فهو كفارةٌ له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ويدخل في ذلك القتل. كذلك، جاء في سنن أبي داود أن القاتل إذا تاب من ذنبه ثم إذا كان يوم القيامة، الله سبحانه وتعالى يمحو جريرته الذنب الذي وقع منه ثم يُرضي المقتول بحسنات منه سبحانه وتعالى ثم يقول خذ بيد صاحبك وادخلا الجنة، وهذا إذا مات القاتل على الإيمان.
فالجواب عن الآية: ومن يقتل مؤمناً متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما:
- أي الخلود بمعنى المُكث الطويل وهذا الجواب ذكره بعض أهل العلم لكنه غير صحيح لأن الخلود في القرآن وفي السنة بمعنى التأبيد وليس بمعنى المُكث الطويل.
- من أهل العلم من حمل الآية على المستحل (أي الذي يقول إن قتل المؤمن جائز)، وهذا الجواب ضعيف كما ذُكر من قبل أن الاستحلال غير ارتكاب الذنب.
- أن مرتكب ذلك الذنب (القاتل) مستحق للوعيد المذكور في الآية لكن الله سبحانه وتعالى قد تفضل وجعل القتل تحت مشيئته و إرادته، وبتعبير آخر، يُقال: إن هذه عقوبته يستحقها إن توفرت الشروط (شروط تلك العقوبة) وانتفت موانعها. ومن الموانع التي تمنع الخلود في النار الإيمان.
فهذا القاتل يستحق تلك العقوبة إذا توفرت شروطها وانتفت موانعها ومن الموانع من الخلود في النار هو الإيمان. مثل لو نقول: الزاني حده الرجم، فهذا الكلام صحيح لكن نقول عقوبته هذه يستحقها إذا توفرت الشروط وانتفت موانعها، لأنه ممكن هذا الزاني يكون جاهل لحرمة الذنب في الإسلام، وقد يكون مُكره فلا يُعاقب.

تابع لشبه الوعيدية:
(إضافة) الشبه السادسة: نفي الإيمان عمن ارتكب بعض الذنوب مثل قوله صلى الله

[1] النساء 39.

عليه وسلم:"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن و لا يشرب الجمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن" وأيضاً مثل قوله صلى الله عليه وسلم:"لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه...".
الشبه السابعة: البراءة ممن ارتكب بعض الذنوب، مثل قوله صلى الله عليه وسلم:"من غش فليس مني" وأيضاً مثل قوله صلى الله عليه وسلم:"ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له".
الرد على شُبهتهم الرابعة: وهي استدلالهم بقول الله تعالى:" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[1]، فنقول إن الآية على ظاهرها لكن الحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل، فمنه ما يكون كفراً ومنه ما يكون ظلماً ومنه ما يكون فسقا.
ويكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً في عدة حالات:

- إذا حكم الحاكم معتقداً أن حكم غير الله أفضل من حكم الله، والدليل قوله تعالى:"أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حُكماً لقوم يوقنون"[2].
- أن يعتقد أن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله.
- إن اعتقد أنه يسعه الخروج عن حكم الله.
- أن يستحل الحكم بغير حكم الله.
- أن يجعل شريعة عامة يحتكم الناس بها.

فهذه الأعمال كفرية ولكن لا نقول أن الشخص العامل بها كافر، لأن الله تعالى قال:" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[3] وأيضاً قال سبحانه وتعالى:"فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما"[4]، فنفى الله تعالى عنهم الإيمان نفياً مؤكداً.
ويكون الحكم بغير ما أنزل الله ظلماً أو فسقاً:

- إذا كان في ما عدا الحالات الخمس التي ذكرت سابقاً.
- إذا اتبع الهوى، في مثل أن يختار أن يُطبق شريعة أخرى دون أن يعتقد أنها أفضل من شرع الله فهذا فسق، ومثل أن يحكم بقضية بغير استحلال وفق شريعة أخرى فننظر إلى الذي يدعوه إلى ذلك مثل إيثار أحد الخصمين على الآ خر مع علمه أن عمله خاطئ، فهذا يكون ظلماً.

الرد على شُبهتهم الخامسة: وهي استدلالهم بأن الله تعالى لا يُخلف وعيده أخذاً من قوله تعالى:" ما يُبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد"[5]، قالوا فهذا يدل على أن

[1] المائدة 44.
[2] المائدة 05.
[3] المائدة 44.
[4] النساء 56.
[5] ق 92.

العقوبات التي رتبها الله على الذنوب لا يبدلها الله، فإذا حكم الله على ذنب بأن صاحبها يُعاقب بكذا وكذا فلا يُغير الحكم، أي أن الوعيد الذي جاء الناس لا يُبدل.
الرد: أن يُقال إن هذه الآية يُفسرها ما قبلها، فإنها في حق الكافر، الآية:"ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد"[1] فهذا الوعيد مخصوص بالكفار، فهو لا يُخلف وعيد الله فيهم وأهل السنة يتفقون مع المعتزلة على أن الكافر مُخلد في النار.
الرد على شُبهتهم السادسة: وهي استدلالهم بنفي الإيمان عمن ارتكب بعض الذنوب، مثل قوله صلى الله عليه وسلم:" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الجمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن".
المراد بنفي الإيمان في هذه النصوص هو نفي كمال الإيمان بدليل أن مرتكب هذه الذنوب رتب الله له عقوبات في الدنيا من الحدود والتعازير ونحوها كإقامة حد السرقة علناً والرجم، والحدود كفارة لمن ارتكبها كما بين ذلك النبي عليه الصلاة والسلا م، فلو كان يكفر بفعله ذلك لكان حده الردة وأيضاً مما يدل على أن المراد بالنفي هنا نفي الإيمان الكامل، إجماع أهل العلم على أن السارق يرث من مورثه والزاني كذلك، وحتى المعتزلة يتفقون في هذه المسألة، فلو كانوا كفاراً لما ورثوا من مورثيهم.
ومما يؤكد أن هذه النصوص المراد بها نفي الإيمان الكامل أن الإيمان نُفي عمن ترك شيئاً من المستحبات مثل قوله صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأ خيه ما يُحب لنفسه..." ومثل قوله تعالى:"إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون"[2] فهل الإيمان محصور بمن كانت هذه صفاته! فالمراد بقوله إنما المؤمنون أي كامل الإيمان.
الرد على شُبهتهم السابعة: وهي البراءة ممن ارتكب بعض الذنوب، مثل قوله صلى الله عليه وسلم:"من غش فليس مني" وأيضاً مثل قوله صلى الله عليه وسلم:"ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له".
الرد: فنقول إن هذه الأحاديث معناها أو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ليس منّا، أي ليس من طريقتنا أو من هدينا أو من شريعتنا بل هذه من طريقة أهل الكفر.
الرد على شُبه المرجئة
نقول أن هذه النصوص، نصوص الوعد، جاءت في بعض النصوص مطلقة وجاءت في نصوص أُخرى مقيدة فيجب أن يُحمل المطلق على المقيد، فالبشارة لمن مات على التوحيد بأنه يدخل الجنة نقول إن ذلك مقيد بإتيانه بشروط التوحيد وانتفاء الموانع عنه. مثل في حديث عتبان: فإن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، ومثل في حديث معاذ: حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يُشرك

[1] ق 42-62.
[2] الأنفال 2.

به شيئا، وحديث جابر: من مات لا يُشرك بالله شيئا دخل الجنة..والنصوص كثيرة. والمرجئة أخذوا هذه النصوص على إطلاقها لكن نقول عليكم أن تأخذوا بالنصوص المقيدة، والمنهج الصحيح هو الجمع بين تلك النصوص، فالأحاديث في فضل كلمة التوحيد وأنها تنجي صاحبها جاءت مقيدة، فهي لا تنفع صاحبها إلا بشروط، ولهذا لما قيل لبعض السلف: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة! فقال: إن كل مفتاح له أسنان. فكذلك كلمة التوحيد تحتاج إلى شروط، وهذه الشروط مجموعة في قول الناظم:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك مع — محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما — غير الإله من الأوثان قد أُله

شروط لا إله إلا الله:

1- العلم النافي للجهل، الدليل قوله تعالى:"فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات"[1]، فمن قال لا إله إلا الله وهو يجهل معناها فلن تنفعه، ومعنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله (لا أحد يستحق العبادة إلا الله) ومعنى العبادة: التذلل محبة وتعظيما.

2- اليقين المنافي للشك، أي لا يشك بأن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده وأنه هو الخالق الرازق والذي أنزل الكتاب على رسوله وبعث نبيه هدىً ونذيراً للعالمين. والدليل ما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم:" خُذ نعليّ هاتين فمن رأيته من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة".

3- الإخلاص المنافي للشرك بنوعيه، أن يُخلص لله تعالى في تلك الكلمة وفي عبادته لربه، لا يُشرك مع الله تعالى أحد. والدليل قول الله تعالى:"إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين"[2].

4- الصدق المنافي للكذب، والمراد بالصدق هنا صدق القلب، والدليل على هذا الشرط قوله عليه الصلاة والسلام:" من قال لا إله إلا الله صدقاً من قلبه أدخله الله الجنة".

5- المحبة المنافية للبغض، والمحبة على ثلاثة أقسام:

1) محبة الله، وهذه أصل التوحيد ومن لم يُحب الله فهو كافر.

2) محبة في الله، وهذه مطلوبة بأن يُحب العبد أخاه في الله وقد ورد فيها الأجر العظيم وأن المتحابين في الله من السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

3) ومحبة مع الله، وهذه شرك، والمقصود بأن يُحب مع الله أحداً كحب الله أو محبة تصرفه عن عبادة الله مثل أن يتعارض هواه مع

[1] محمد 91.
[2] الزمر 2.

مُقتضى أمر الله، فإن قدم الهوى فقد قدمه على حُب الله ومثل أن يأمره أحد في معصية الله فإن أطاعه فقد قدم محبته على محبة الله وفي هذا يقول سبحانه وتعالى:" ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يُحبونهم كحُب الله والذين آمنوا أشد حُباً لله"[1].

6- الانقياد المنافي للإعراض، والمراد به أي انقياد بمقتضى لا إله إلا الله، إذ مقتضى لا إله إلا الله هو اتباع ما جاء به الله والانتهاء عما نهى عنه وتصديق ما أخبر به، فإذا لم ينقض لذلك فقد أخل بأحد شروط لا إله إلا الله التي تنفع صاحبها يوم القيامة، وقد جاء في الحديث (وإن كان به ضعف):"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"، ومما يدل على هذا الشرط قول الله تعالى:"أفرءيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون"[2].

7- القبول المنافي للرد أو الرفض.

8- الكفران بالطاغوت، أي عند الإيمان بأن الله وحد هو الإله لا بد من الكفر بعبادة من يُعبد من دون الله ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى:"ولقد بعثنا في كل أُمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت"[3] وقال صلى الله عليه وسلم:"من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرمه الله على النار" فاشترط شرطين: أن يقول لا إله إلا الله وأن يكفر فيما يُعبد سوى الله.

فكلمة التوحيد إنما تنفع صاحبها إذا حقق هذه النصوص الثمانية، فنجمع النصوص المطلقة مع النصوص المقيدة.

قواعد في حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة

1) أن مرتكب الكبيرة لا يُخلد في النار ما لم يستحل ذلك الذنب أو يرتكب ناقضاً من نواقض الإيمان، وإن دخل النار فإنه لا يُخلد فيها لقوله تعالى:"إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لم لمن يشاء"، ولحديث عبادة: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا........

2) الفرق بين الفعل والفاعل، فقد يُوصف الفعل في نفسه بأنه كفر لكن لا يلزم من ذلك أن يكون الفاعل كافراً، الرسول صلى الله عليه وسلم سمع أبا ذر يسب بلال رضي الله عنه (عيّره بأمه، فقال: يا ابن السوداء) فقال عليه الصلاة والسلام لأبا ذر:"إنك امرؤ فيك جاهلية، أعيرته بأمه! فالنبي صلى الله عليه وسلم وصف أبا ذر بأنه قد أخذ شيئاً من صفات الجاهلية، قال فيك

[1] البقرة 56.
[2] الجاثية 32.
[3] النحل 63.

جاهلية (نوع من الكبر والتفاخر بالأنساب) وهذا اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم من صفات الجاهلية، فلا يلزم من هذه المقولة أن يكون أبا ذر جاهليّ من أهل الجاهلية ولا يلزم من ذلك أنه كافر، فمن اتصف بصفات الكفار لا يلزم أن يكون كافر.

3) أن أسباب مغفرة الذنوب متعددة، فمن تلك الأسباب:

-1 التوبة، قال تعالى:"والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا ً صـ الحا فأولئك يُبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما"[1] وتحت التوبة عدة مسائل:

- أن التوبة تجب كل الذنوب بما فيها الشرك والقتل.
- أن التوبة تصح من ذنب وإن كان مُصراً على غيره على الصحيح من أقوال أهل العلم. وكذلك من أسلم ولم يتب عن بعض الذنوب بعد إسلامه لأن إسلامه يجب ما قبله.

-2 الاستغفار، والاستغفار مكفر لذنوب لقوله تعالى:"..وما كان الله مُعذبهم وهم يستغفرون"[2]، والاستغفار إذا أُفرد عن التوبة دخلت فيه التوبة وكذلك التوبة إذا أُفردت عن الاستغفار دخل فيها الاستغفار لكن إذا جُمع في سياق واحد (أستغفر الله وأتوب إليه) فالاستغفار بمعنى طلب الوقاية من شر ما مضى، والتوبة تكون بمعنى الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل، فيكون الاستغفار عن ما مضى والتوبة عن ما سيأتي.

-3 الحسنات أيضاً سبباً في تكفير السيئات لقوله تعالى:"إنّ الحسنات يُذهبن السيئات" وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر:"وأتبع السيئة الحسنة تمحها".

-4 المصائب، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"ما يُصيب المسلم من هم ولا غم ولا حُزن حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله به من سيئاته"، ولما نزل قوله تعالى:" من يعمل سوء يُجزى به" قال أبو يكر للرسول عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله، تلك قاسمة الظهر أوَ نُجازى بكل ما عملنا به! فقال: يا أبا بكر: ألست تنصب، ألست تحزن ألست تُصيبك الأواء قال بلى يا رسول الله قال: فذلك ما تُجزون به. أي الجزاء هو المصائب و

---

[1] الفرقان 86-07.
[2] الأنفال 33.

الشدائد وهو مُكفر للسيئات، ويقول أهل العلم إن المصيبة في نفسها مُكفرة فإذا صبر عليها العبد أُثيب وإذا سخط أثم بسخطه، مثل ما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث:"عجباً لأمر المسلم كله أمره خير إذا أصابته ضراءٌ فصبر كان خيراً له وإذا أصابته صراء فشكر كان خيراً له"

5- عذاب القبر، فالإنسان قد يُطهر في مرحلة القبر قبل يوم القيامة، والقبر سماه النبي عليه الصلاة والسلام فتنة والفتنة بمعنى التمحيص.

6- دعاء المؤمنين واستغفارهم له في الحياة الدنيا وبعد الممات، ولهذا شُرع الدعاء للمسلم عموما فإذا دعا الرجل لأخيه وكل الله به ملكاً يقول: ولك بمثله، وكذلك شُرع الدعاء للأموات كما في قوله عليه الصلاة والسلا م:"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".

7- ما يُهدى إليه بعد موته من القرب المشروعة مثل الحج والصدقة و الصيام الواجب على الميت أي قضاؤه عنه.

8- أهوال يوم القيامة لأن أهوال يوم القيامة من الهم.

9- الوقوف في القنطرة، وهي جسر بعد النار وقد جاء في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم:" أن المؤمنين إذا اجتازوا الصراط أوقفهم الله تعالى على قنطرة فيقتص بعضهم من بعض حتى تذهب عنهم الشحناء حتى إذا ما ثقوا وهُذبوا دخلوا الجنة".

10- شفاعة الشافعين، والشفاعات يوم القيامة متعددة منها: شفاعة الملائكة والمؤمنين يشفع بعضهم لبعض مثل شفاعة الولد الصالح لأبيه وشفاعة بعض المؤمنين كالشهداء، شفاعة بعض الأعمال مثل القرآن وصلة الرحم وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ومنها: أ- شفاعته في أناس من أمته استحقوا دخول النار ألا يدخلوا فيها، ب- شفاعته لأناس دخلوا النار أن يُخرجوا منها، ج- شفاعته لرفع درجة بعض أهل الجنة، د- الشفاعة العُظمى وهي أن يقضي الله بين العباد.

11- مغفرة الله ابتداء أي أن يغفر ذنوب العبد تفضلا ً منه بلا سبب.

12- دخول النار وهي أن يدخل العبد النار فيُطهر من ذنوبه.